إهداءْ

إهداءٌ للوُرود البلاستيكيةِ التّي تلقيتهَا
إهداءٌ للوُرود الحقيقيةِ التّي تمنيتُ أنْ أتلقاهَا
للكلمات التّي قلتُها و التّي بقيتْ بداخلِي تحتضرُ منذ عامينِ
لدفتري الممتلئ بالثقوبِ والمختبئ بالدرجِ
إهداءٌ لكل قصائدِ الحبِّ التّي كتبتُهَا ،نفيتُهَا، وحرقتُهَا .
إلى أمّي التّي زرعت برمادي بتلاتِ الياسمينِ
إلى أبي الدّي سقانِي بعرق جبينهِ إلى أن أزهرتُ
إلى أختي التّي وصفتْ كلماتِي بالهراءِ فظبطُك تقرئينهَا خلسة
و إلى أختي فايزة التّي شجعتني على مواصلة الكتابةِ
إلى صديقتِي الدكتورة شيماء التّي منحتني جرعة
مِن الأمل ، وجدتْ جداري متلاشيًا و ما تبقى مني يحتضرُ كهرة
في كلّ مرة تموتُ ولا تموتُ ، و الزجاجُ بداخلي منكسرًا ،
و راحت تجمعه دون أن تأبه لجراحِ يديها ، و تستبدلهُ بالتفاءلِ
و الحياةِ ، و تزرعُ على حوافِي الرّبيع
إلى الشخص الدّي أهدانِي الحبّ دونَ مقابِل

آخرُ مَا تبَقى

" ستبكِي يوماً ما مما كانَ مصدرَ سعادتكِ وبهجتكِ
حينَ يغمُرك الحزن ، تأمل قلبكَ من جديدٍ ، فستَرى أنك فِي
الحقيقةِ تبكِي مما كان يومًا مصدرَ بهجتكِ "

جبران خليل جبران

آخر بريد :

" إنتهينَا من إرتِشاف القهوةِ ؛
و إنتهينَا من الحبِّ ، دعِينا ننسَى الماضِي ،
و ما مضَى وَ نصبح غرباءْ "

يُخَيَلُ إليّ

تؤلِمين بعضِي ؛ و بعضِي معتل بكلِي
لازلتي العُضو المبثُور منِي ،
يُخيل إليّ أنّه لازالَ هناك كأنِي ،
أشعر به ،أراه ،أحدثه، وأسألهُ
كشخص لا يبحثُ عن جوابٍ ،
ألمسه ،وكلما لامسته يخيل إليّ الوجعُ
أبحثُ عن أجزاءٍ صناعية تناسبهُ
إلا أنني أزداد نقصًا ،
مثلِي و مثلَ حقيبتِي ممتلئة بمضاضةٍ
وبداخلي قطعُ زجاج منكسِر ، وبداخلِي
يتمددُ صقرٌ يُحتضرُ
بداخلِي صراخ رهيبٌ ، و حَولي صمت كئيبٌ
أنتظرُ رحلة بقطار لا يمرُ و لا يتوقفُ بمحطتِي ؛
و يطوِي زمانٌ زمانا مثل الكتابِ
فيمرُ الجميعُ و يصتدم بكتفِي
تخورُ قواي و تسقط حقيبتِي

و تتبعثرُ ذاكرتِي و أشيائِي
فرشاتِي و أقلامِي ،
و أراكِ بين الحشودِ تلزمين السكونَ
أراقبكِ تمرين بِي
تمرين كسحبٍ مغشاةٍ من الوهمِ ،
فلا أنتِ أمطرتِي هناكَ ، ولا أنا أفقتُ منكِ هنَا
يا ثغرَ الكرَاميلِ ؛ يا شِفاهَ البشَامِيل ؛
رُدي ماذا فعلتِ بي ؟
تعقِدين حاجبيكِ ؛ تعدين أصابعكِ ؛
فيبرز الياسمينُ مروجًا على سفح وجنتيكِ ،
تصفين ضفائركِ مثل شلالِ إغواتسُو على كتفيكِ
فتُغنِي لكِ طيور السُنونو بباستينِي
و تتراقصين بداخلِي مثلمَا تنحنِي السنابلُ مع رياح الحقولِ
و لأنكِ تختزلين الكسُورَ ،
تخزلين الرياضياتَ ،
وتختزلين الفيزياءَ والعالمَ
في زيتِ عينيكِ البندقِي ؛
مثل عضو مبتور لازلتِي هناكَ
يُخَيَلُ إليّ أنكِ تؤلمينَ ؛
تتحرَكين بداخلِي ؛
و تنبضين بشراييِنِي ؛

مثلَ ألفِ لاجئ يُجدفونَ بقارب واحدٍ
مثلَ سبعينَ دينًا بقريةٍ واحدةٍ
مثلَ مدينةٍ بمصباح واحدٍ
تزدادُ غربتِي كلما رأيتُ عاشقيْن ،
و بالسّماءِ قلبا يتوسدُ سحابتيْن و قبلتيْن
كلما مررتُ بعجوزيْن ،
كلما رأيتُ إثنَين ،
أحترقُ بوحدتِي و أنا أرَى العالمَ شخصيْن .
و فِي رمشةِ عين ...
أهرعُ إلى درجِي و مثلَ المجنُون
أبحثُ عنكِ بين أشيائِي ، ألبوم صُوَري ،
بين أوراقِي ، وأمزق دفاتِيري ، فيَلِمُ الفجعُ بكلماتِي ،
أخرجُ للشارع ، أقيمُ لكِ المسِيرات ،
أهددُ بالإنتحَار ، الإنفجَار ، و أحرقُ العَجلات ،
أصرخُ بحروف إسمكِ و أطالبُ بكِ ،
أسألُ عنكِ الجميعَ ، هل لمحوكِ و أنتِ ترحلينَ
لرُبما رأوكِ تلتفِتينَ ، غريبٌ ألا يتذكركِ أحدٌ سوايَ
مثلَ خرافةٍ ألفها طفلٌ صغير ، يتلوهَا كل مساءٍ
و فِي رمشةِ عين يزدادُ إختلالِي
أرتبُ افكاري ؛أين تركتكِ ؛
أيْن نسيتكِ و سهوتُ عنكِ و لا أدَاري ،

و هل أذكرُ يومًا متى و كيفَ أحببتكِ بليلِي أمْ بنهَاري
يُخَيَلُ إليّ ...
مازلتِ عضوًا مبتورًا يُؤلمُ ؛ ويُقسمُ بأنه يُسلمُ
ينثرُ مَضاضَة على باقِي الأعضاءِ فتخرسُ لا تتكلمُ .
و فِي رمشةِ عين أصبحتُ سَفينة بعرض البَحر
منبوذة فِي العراءِ ،
تقولِين أنكِ تُريدينَ إنقاذِي من الوجَع والشقاءِ
وألمحكِ فوْق المِرساة تُمزقينَ لحمَ الشراعِ
و ترمِيننِي للمسجُور يتقاذفنِي وجسَدي يصرخُ من الإعياءِ
وكل أطواق النجاةِ التّي أراهَا بعيدة عنِي ،
سَحبَ الموْج منِي كل أطرافِي ؛
و تركَ لي قلمًا ؛ و بعْض الأوراقِ ،
و بكل حرفٍ أتشبثُ به يُحاول إغراقِي ،
و فِي رمشةِ عين ...
إستفقت على خيالك مفجُوع
يتسللُ إليّ و يسرقُ منِي أنفاسِي
و النُسُم بي ملهُوفٌ مقطُوع
كلُ قصَص الحبِّ التّي عِشتهَا إنتهَت برمشةِ عين
و العجيبُ أننَا فِي الحبِّ قلنا كلَ شيْئ ؛
و أفوهُنا لمْ تنطِق بعدُ بشيْئ .

أتذكرينَ شكلَ شجرة الخُوخ
بجانب بيتكِ العتيق الشَموخ
أجلس تحتها أراقب ستار نافذتكَ
أنقشُ عليها الحرفَ الأولَ من إسمكَ
مثلَ عاشِق و تلميذُ حبٍّ صغير
تمُر الفصولُ و تمطرُ عليّ السّماءُ
لا أحملُ معِي مَطرية ، فيصيبُني الزكامُ
و تقبَعين أنتِ بالداخل لا تسألِين ؛ ولا تأبهينَ .
وأعودُ إلى منزلي أكسرُ الأوانِي عن الرُفوف
الصحُون ؛
الصمْت ؛
وأحضن شراشِيفي مثلَ رضيع صغير ،
أتكدسُ بسريري ، وعلى حوافِه أمددُ يدِي
مثلَ هرّ بجانب نافذتِي ،
أخذ كتُبي لأقرأ ؛ داخل الكتابِ تقفزينَ ،
دونَ أن أركِ تتَنصتينَ ؛
فأجدكِ بين السطُور تختبئينَ ،
تحْت الحرفِ ؛

و فوْق السُكون ،
تكلمِي ، أصرخِي ، إنفجِري
لكنكِ لا تفعلينَ ،
أحَدثكِ ولا تجيبينَ ،
و قد تكدَست بي النهَداتُ منذ ملايين السِّنين
فِي حلقِي مثلَ شوكِ التِين
وأصبَحتُ كعجوز خرفٍ بالتسعِين
وقد إنفلتَت منِي الكلمات ،
أحَدثكِ وقد إمتلأتُ خوَاء و تصدَعتُ ،
وأصبَحتُ أجوَف مثلَ يقطِين الهَالوين
أحَدثكِ ليتكِ عنِي تخفِفين ،
لما رحَلتِ ليتكِ تعودِين ؛
و الآن و قد توَرطتُ فيكِ فلِما لا ترُدِين ؟
كان عقلِي يُحذِرني بشِدة من الوُقوع بكِ
وقلبي يقولُ لِي ؛ إنتَشِي إنتَشِي

أعْلنْتُ عَليْكِ السّلامَ

و أعْلنْتُ السّلامَ عليكِ
فنَقضَت عيناكِ المِيثاق
وألفت تلقي علي القنابل والألعَام
أتقاتِلين أعْزلا بحربكِ
أتقتلين عِزة مَيت بحبكِ
أتقبلين بي مَنكوبًا بأرضكِ
أنا أنوي الإحتِلال
أعلنتكِ قدسًا ،
تثورينَ وتطلبينَ الإستِقلال
فيَسقط الجميعُ على أرضكِ شهدَاء
وتبقينَ أنتِ
قبة ذهَبية ملائكِية
تفتِنينَ ...
ولا يُلامسكِ سِوى الحمَام
تحطُ عليكِ الطيُور ، و تتوَضأ من ماءِ عينيكِ الزيتِي ،
و تصلِي بكِ ركعتَين بسَلام

فيَخونهَا الرصَاص وتنادِي بصياتِ إسمكِ
فتصرُخين الحُرّية الحُرّية
يَجتمعُ العرَب غيْر آبهين
و تعقدُ قِمم و يُعْرب عن قلق مُزيفين
لكن مَن مَات من بَكى ؛
مَن صَرَخ ؛
تبقينَ وجَع ..تبقينَ ألم
ألقيتُ السّلامَ عليكِ
ولا أنوي الرحِيل من أرضكِ
سأحتلكِ بحرفِ الحاءِ والباءِ
سَأشعلُ بحروفِي نارا ؛
سَأنصِبُ خيامِي ،
و أشاهِدكِ ؛
تتراقصِين نجمًا بأحشاءِ السّماءِ
شهابًا يمرُ فأتمنى لو تشفقِي عليّ بحبكِ وقولِي رياء
من أي دِين تأتِين يا سَيدتي الحَسناء
فأنا لمْ أجدكِ في عقائِد الأديَان
هل أنتِ من دِين الإسْلام
البَسملة الغيْدَاء ،
فلبيكِ لعينَيكِ لبيكِ
تغِيبين

فأسألكِ ولا تجيبين ؛
تعتكِفين ،تبكِين ؛
تضحَكِين؛
فتصِبين قلبَ التائِبين ؛
ليتكِ ...
ليتكِ تسقطِين من عُش بَنيتهِ في السّماء
فيَسقط غرُوركِ أمامِي وتنفق بكِ ألوانُ الحِربَاء
فيَسقط كِبريَاؤكِ مثلَ مَطر الشتاء
ونطقت بسُخريتكِ الشمطاء ،
صرت طيرا ، لا أهاب التحلِيق في كبدِ العلياء
أسألك ماذا أخذ غيابي منكِ و كلي شقاء
مُجددا تصمُتين ولسانك تبتلعين
مثلَ آلِهة اليُونان تتكبرين
ولا تجيبين
رُدي عليّ لِمَا تصفنِين
فأهُزكِ هزا بذاكِرتِي
وتجفلِين ،و تجيبين
الغيَابُ يزيدُ في سُلم عُمرك كمًا من السّنين
يَكسِرك أجزاء صَغيرة غير قابلة لِلتجمِيع والتّرقيع
الفِراق يَزيدُ يا حَبيبي مِن سَكراتِ الوَجَع والأنِين
إعتَدتُ عَلى يأسِي و عَلاقتِي بالوَجع بألفٍ و يَاء

مثلَ وجهِ مالِكِ الحَزين
مثلَ مُسلم يَتيم بدير
يَدق بدَاخلِها أجرَاس كنِيسَة
و بجوفِه يَصدخُ آذانٌ و تكبير
يلف قلبه بآيات القرْآن
و يَشكو لربّه بَثهُ و كل الأحْزان
و أنتِ بكل دعائِي تتضرعين
أعُود بجسَدي إلى حَربك الخرسَاء
و أن تِ بكل جسَدي مُعْتلٌ عَلِيلٌ عليّ
أحِبيني ...
أحِبيني أقِيمُ لكِ وطنًا ، أصنعُ لكِ تاريخًا ،
أبني لكِ بالحِجارة المَرْمَرية بيتًا
و أرسُمكِ رَاية أرفعكِ عَلى كل أسْوَاري الدمشقيَة
و لِجدَائِلِكِ الذهبية أصنعُ مشطًا من خشب الصَنْدَل
وأزرعُ على طول خطوط يَدِكِ ورُودًا نرجَسِيَة
وأجعلُ كل مَرج مِنهما دِيوانا لِقصَائدي النابْلسِية
وأجعلُ من شفتيكِ مَاخورًا لِلكلمَات العُذريَة
عيناك أجمل مركبين شمْعيَيْن مِن الزرْكون
تطلبينَ منِي الرحِيل ، و كلمَا رَحُلتُ عَنكِ تتذمَرين
مَاذا تريدِين ؟
أريدكَ أن تبقى ،تعصِي ،تتمَرَد ، و تثور مثلَ بُركان

فرَحيلكَ يَعنِي أنِي كنتُ و الرحِيل لكَ سِيَان .
و كنتَ تنتظِر طلبَ الرحِيل يَا سَيدِي مُنذ زمان .
عَزيزتي ؛ إغفِري لِي فأنا رَجُل شرقِي عِند الكلام
لا يُجيدُ اللفَ والدَوَرَان .
حُبُ هذا الزمَان أصبحَ مُستحيل
و طريق المُستحيل إلى عَينيكِ مُجهِدٌ طويل
كل مَا تريدِينهُ مَالٌ ، هَدايا ، و أفخرُ عُطور شنال
أعذرينِي يا سَيدتِي فأنا فقيرٌ مُعوَز الحَال
فِي زمَن أحْبَبتكِ ، و نذرْتُ لكِ الحُبّ ولا أقدِر على المُحَال
و نفتنِي الحَربُ إلى الجَنوب وذرتنِي فوق الشوكِ مثلَ الرّمَال
أحَالت بَينَنَا ؛
وأحَال بَينَنَا أهلكِ ؛
وأحَال بَينَنَا المَال ؛
وأحَال بَينَنَا المَال ؛
وأحَال بَينَنَا المَال؛
إنتهَت الحُروب ،وإنتهَى أهلكِ تحت الأنقاض
و لازلتُ بلا مَال و مثلَ الشِبل تريدِين الإنقِضاض.
تصَوبينَ نحوي مُسدَسَ عَينيكِ
تهَدِدِينَ ، ترتجفِينَ ، نحوَ القلبِ لكِن لا تقتلِينَ
أنتِ الوَتِين ؛ و عَيناكِ آخِر مَا تبَقى مِن عَسَفِ النّخِيل
ألقِي السّلامَ عليكِ

تغلِقين عَلى عَينيكِ ؛
فتقتربين و مِن شفتيكِ تبدأ الثورة و يُرفعُ عَنِي السّلام

أحِبُكِ وَ لا تأبَهين

السّاعَة العَاشِرة صَبَاحًا إلا أنتِ
بجَو مَاطِر و ريَاح عَنيدَة تنزِلين إلى البَلدَة
تمُرين بالمَقهَى بمِعطفِكِ الأسوَدِ الليْلِي؛
و كأنهُ ضرَب مَوعِدا مَع المَطر الدِمشقِي ،
تراقِصين الزخات مثلَ إمرأة غجَرية
تجَالسِين قرْبي بغطرَسَة
تطلبين فنجَان قهوَة و يطالب بشفتيك العذرية
أراقبك منذ مُدة كيف تنحنين بعنجهية
تضيفين حَبَتيْ سُكر ؛
فتتمردُ بعضُ القطرَات أرضًا
أسقِط قلمِي عليكِ عمدًا
فتعِيدينهُ إليّ ؛ آسف سيدتِي
ترتجفُ أنامِلي و أنا أتلصصُ عليكِ
أسألكِ كمِ السّاعَة
وكلِي بَلاهَة
تنظرين إلى السّاعَة بمعصَمِي وهي تشير إلى الجادة
فتبتسِمين ، آه ، كم أنتِ مغرُورة مَاذا تفعلِين
حِينها تتحركُ لتعاليمكِ تضاريسُ الكون كلِه

يَنشقُ القمَر على فوهَتيْه كشِفاه عُنْفوَانِية
يَنتظِر التقبيل
تخجَلُ النجُوم و تهوي على سَاحة قدميكِ
تغيرُ الكوَاكبُ من مسارهَا ؛
و تعلِن عن ولادَة نجم سَمائِي ،
ثم تختفِين ؛
مثل السَندريلا ؛
تتركين وشاحكِ عمدًا ،
و أنا من عَينيكِ قد أخذتُ فانوسًا سِحريا
و في غمرة حبٍّ أصِير ماردًا
نحلقُ فوق سُور الصِّين العظيم ،
إلى أحرَاش الماغول ،
إلى بهارَات الهند ،
نطوف سَبعا بمكة ،
نمرُ بدمشق ،
بفلسطِين ،
نصَلي ركعَتين ؛
ثمّ نعودُ إلى الجَزائِر ،
و يَنتهي حُبنا .
أسالُ عَنكِ بشوارع قسنطِينة
و دُون أن أجَابَ تقفِزينَ

بأحداقِي تغتسِلينَ ؛
تقِيمينَ كرنفالا بي ؛
فيُرَاقِص عَقلي حافة الجُنون
و أقِفُ على أصَابعي قدمَي كراقِصة بالِيه
تعجبني بَائِعة الكمَان
كيفَ تحِيلُ جمَاد الأوتار الصّماء بإتقان
تجلسُ على حَافة مأساتها بحياءٍ مُصَان
تعزفُ أحلامَها ؛ و تسألني مَاذا فعَل بها القدَر
وأحَالها إلى شخص جبَان
عَزيزتي القدَر مثلَ هدايا العِيد ، نتمَنى ما نريدُ
فيُهدينا ما يُريد .
أخذ مِنها الحُبّ كل شيئ و ترَكها تتناوَل نوتات المُوسِيقى
كمَعبد دينِي قدِيم
و لانكِ الوَتِين ،و لانكِ من قبضة ترَاب جَزائِرية
لا عجَب أن تنبتَ وجنتيكِ على ترابها فلا و يَاسَمين
لا عجَب أن تثمِر شفتيكِ تفاحا
لا عجَب أن أودَ إحتلالكِ مَرتين
المَنطِق و قانونُ الجَاذبية يقولُ
الحُبّ يَحتاجُ قلبا و شخصَين
أمّا بالجَزائر يحتاجُ
شخصَين و شعبًا بأكمَله يَدرسُ ، يُحلِل ، و يُقررُ

أحِبُكِ و لا تهتمِين
أحِبكِ و لا توَدِين
كيفَ تتحَلزنين ، كيفَ تتثعلبين ، و كيفَ تتحَجَرين
مثلَ كنيسَة تدقُ بكِ أجراسُ قلبي لا تأبهين
مثلَ لوحَة المونالِيزا تحَدقين ولا تمَلين
فلا أنا أصمُتُ ولا أنتِ تتكلمِين
خريفية أنتِ مثلَ أوراق الشجَر تتبعثرين
لا تقبلين مُساوَمة فصْل الخريف ولا تتفاوَضين .
لأنكِ فِي كل فصل تزهِرين
لكِن عودُ كبريتٍ واحد فتنتهين
إن لمْ تستطِيعي أن تمنحِيني حبًا على مَقاييسي
فلا تمنحينِي عذرا و تغادِرين
فقط إنصَرفي عنِي ولا تظنِي أنكِ سَتعودِين
تقولين أحِبُكِ و تهجُرين الكلام معِي من تِشرين
ثمّ تعودِين و تشتاقِين ، و كأن فؤادِي كرَة تركلِين
باللّه عليكِ ، و تنتظِرين منِي أن أحِبُكِ و أشتاقَ لِحين ،
و لقد تحَوَلتُ إلى فسَيفِسَاء من أجْزاء و قِطع الحنِين
أسِف يا حَبيبتي فأنا
لستُ رمَضان من كل عَام يعودُ فتصُومِين
أنا مثلَ نيزكٍ قتل الحيَاة على كوكبِ الأرض مُنذ مَلايين السّنين

فتذكرْت أنِي بمَنفى

تزورينِنِي مثلَ متحَفٍ شمعِي مُغلق مُنذ سِنين
تمُرين و أراقِبكِ بعَينَي و أصرُخ إليكِ شوقا فلا تسمَعِين
تأخذين صُورا بجَانبي و لِتمثالِي الشمعِي تتنكرين
واراكِ بحَوزة رَجُل غريب
تشعِل الغيرَة حَريقا بي
مثلَ بُركان خامِد مُنذ ألف عَام
يُحضِر لكِ الفشارَ و يُظهر الإحتِرَام
يُداعب خصلات شعركِ الذهبية
تبتسِمين ،
فيَهتز تمثال الشمع ،
يلتفِت الجَميع ،
فأسقط دُمية شمع تتبَعثر عِند قدميكِ تفاصيلِي
اختبأ تحت اجزائِي ؛ أخافُ أن تجفلِي إذا لمحتِنِي
أهرعُ وراء خيالك قبل ان تغادِري
انادِيكِ باسمكِ
ثمّ مَاذا ؟
ثمّ صَعبٌ ان تسمعِي صَوتِي هَذا

تستدِرين و كأنكِ أمامَ كل هَذا الخيَال إليّ تنظرين
و تمُرين مِن خِلالِي كوَهم فيَغرق جَبيني كالطوفان
بجانِب المَقهَى تجلِسين
اجلسُ بجانبكِ ولا تشعُرين
اراقب فنجَان القهوَة يرتشفُ منكِ ويهذِي هل مِن مَزيد
و انت تراقِبين المَارين
يهب الهواء فيأخذ مِن عطركِ القرْطبي
حَبيبتي عطركِ امْرٌ عَجيب
يُجمد بُؤرَة حواسِي ،
يُربكُ قلبي ،
يَتمَردُ بذاكرتِي ،
خصلة الشعر تِلكَ العَنِيدة تأبَى أن تستسلِم عَلى كتِفيكِ
تترَاقصُ بالهواءِ ،
أمُدُ يدِي اعِيدها مكانهَا
فأتذكر ان هَذا وَهم ،
استمِر في التصدِيق ،
اراقبُ عَينيكِ البُندُقيتين ،
فيخجَل الكحلُ و على حَافة السَيف يَسِيل ؛
و تخجَلين و تعِيدين
بأنامِلكِ بعْض السَيل إلى غِمدِه ؛
و في غمرَة تبتسِمين ،

عَجبا ألازلتِ تشعُرين
أحَدثكِ فلا تردِين
فأتذكرُ اني بمَنفى
استفِيق في الضِفة الاخرَى
من سَريري و أمزق كل شراشِيفي ؛
و أحرقُ كل دَواوينِي
انا هُنا مُنذ الفِ عَام بعزلة عَنكِ
أعِد فنجَان قهوَة سَادَة أرتشفها مَع كآبتي
و اعودُ لدفتري أكتبُ و ألفِقُ
عَنكِ اشعَاري ،
خرفاتِي ،
اوهامِي ،
وانتظِر المَساء فيَحلُ بي،
انتظِر الشِتاء فيَحل بي ،
انتظِر المَطر فيَحلُ بي،
اما انت فلا تحِلين بي ،
لكنكِ تمُرين بي
مثلَ فصْل خرَافِي
اشعرُ به و لا
يَنتمِي إلى الفصُول الأربَعة
أخبرتك ان الفِراق سَيقتلنِي

إطمئِنِي فإنِي مثلَ السّاعَة الرّمليِة
أموت شيئا فشيئا وتسقط حباتي الشمعِية
أليسَ عجيبًا أن أكتبَ إليكِ
و انا لا ادري من تكونِين و أين تنتمِين
اليسَ عجيبًا ان يَقرأ عَنكِ
مُلحِدٌ، مُسلمٌ ،ومسِيحِي
و انتِ لا تقرئين
أجالسُ كتاباتِي كل الليْل ألقِنها درسًا في التعَوُدِ عَلى غيابكِ
و يحلُ الفجر و تتسللُ اشِعة الشمس المُمِلة هَاربة إلى الداخِل
فالأيام كلهَا متشابهَة عندمَا تغِيبين ،
يَتجمدُ الوقت و يمرُ ببطئ و كأنه يَجلسُ فوْق قوْقعَة سُلحفاة ،
يتراكمُ الغبار بي و كأنِي بالداخِل مُنذ سِنين
مثلَ أثاثِ بيتٍ قدِيم
كنتِ تظنِين أنّ الحُبّ الاوَل تجربَة أدَاء
يَعنِي ان نكون لبعضِنا ولا نصنعَ أمَل البَقاء
و قلتُ بعْضُ الظن إثمٌ و عُثاء
و اصبَحنا ضِد بَعضِنا بين صَيف و شِتاء
و أصبَحنا لا نعرفُ بعضا مثلَ الغرَباء
الحُبّ الاوَل كان مِن ثالِثِ مَا إقترفتهُ مِن الأخطاء
الحُبّ الأوَل كان قدرًا و قضاء
لكنِي أحْبَبتكِ بكل قوَايا العَقلِيَة و القلبيَة حَدَ الثمَالة

مثلَ مختل عَقلي هاربٍ مِن مَصحَة الجُنون
مثلَ مُدمن مخدِرات و كحُولياَت
و احببتكِ لأنِي مَهوُوسٌ بالقهوَة القسْطلِيَة
و لأنكَ تناسِبين كبريائِي
ولانني عندمَا اكتبُ عَنكِ في دفاتِري
اختارُك مزاجًا لِي لانكِ تثيرين أعصَابي .
لان حُبكِ على مَقاسِي .
أحْبَبتكِ لسَببٍ مَا
تحركِي ، إنفجري ، تمَردِي و كونِي إمرَأة خطِرَة
فأنا لا أريدُ الشعُور بأنني أحُب حَجرَة
لا أريدُ إمرَأة عادِية أريدُ أن أحِبَ إمرَأة مُنفجرَة

عَلى مَنْبَر عَيْنَيْكِ

أقِفُ عَلى مَنبَر عَينيكِ التُركوَازيَتَيْن
أمطِرُكِ شِعْرًا و قصائِد رومانسِية
تهتزُ أشجَانُ الحضُور
أمّا أنتِ لا يُحركِ كبريائِي يَا عُنْجُهيّة
و كأنكِ ترتدِين عبايَة جنِيَة تبطِلُ سِحر كلماتِي عليكِ
تشعلِينني مثلَ سِجارَة ، و تنفثينَنِي في السّماء
و تتركيننِي رمادًا يتراقص أرضًا ويَذروهُ الهَواء
تسألِين مِن اينَ بي بكل هَذا الهُراء
من زيتِ عَينيكِ الأخضَر ؛
من كرَز شفتيكِ الأخضَر ،
من خصركِ الأخضَر ،
لفِيني سُورًا حولكِ ؛
وهُزيني ؛
تقطِبين حَاجبيكِ ، كقوْس قطبي ؛
فتتمَرَدُ الطيُور ،
تتسَاقط الغيُوم ،
تتشابَك النجُوم ،

تربكِين الكوْن ،
أقِفُ عَلى مَنبَر عَينيكِ مُثقلا كالغيُوم
أمطِرُكِ غزلا و قصائِد حبٍّ ولا تبتَلِين
و كل ما ألقِيهِ قطنٌ و يَاسَمين
و كأنكِ تحْت مَطرية تختبئينَ
تهُزين أسَاوركِ فتفتنِين
تسألِين هل أنتِ النسَاء ككل
تشبهِين ،
انت بيني وبين النسَاء تقِفين ،
نذرت لكي عيني إلى يوم الدِّين ،
لو أمطرَ القمَر نسَاء ؛
لو اثمَرت الأشجَار نسَاءً ؛
لو أزهَرَت الأرض نسَاءً ؛
لو أصبَحَت كتُبي نسَاءً ؛
فسَتبقيْن في عَيني سَيدة النسَاء
كلمَا مررَتُ غزلا بقلمِي الخشبي
ملأتهُ بكِ حُروفًا و عَلمتهُ أبجَدِيَة إسمكِ
و ترتيبَها ، فتغارُ منكِ ورقتِي ،
و تخونُ القلمَ كلمَا عليها خط عَنكِ
تقيمُ لهُ عثرَات فيَسقط كالعَجين مَغشِيًا بكِ
تنهِي حبرَهُ و تنف ثُ آخِر أنفاسِه

عَجبا أن تعَار منكِ ورَقة .
عَجبا أن يعَار منكِ الجَماد و تعَار منكِ كلُ أنثَى
اقف على مَنبَر عَينيكِ اليَقوتِيَتَيْن
أحاولُ سَرقة جُزء مِنهما لا أنوي بيعَهُما ،بل أودُ
أن أفتَح لهُما مَتحفا ، فيَرى النّاس أني أملِكُ كنزًا
وفي غفلة تسرقِين منِي ؛ فتُسْحَبُ منِي أطرافِي ،
تحرقُ اقلامِي ، تمَزق دفاتِري ، يُشنقُ قلمِي ،
و يُعلنُ عن وفاتِي ، بتوقِيت فراقكِ الشتوي
أغدِقي عليَ بحبكِ و علِميني الكلام في حضرَة عَينيكِ
مثلَ طفل صغير تتعثر الكلِمات فِي فمِه ببرَاءة
تنشِدين تهْويدَة ملائكِية
و أَلِج فيكِ بعُمق ، يَقفز الماضِي عَلى شراشِيفي المِخمَلية
و أبقى أربتُ عَلى ذكرياتِي الشقِية ؛ أقِيمُ لها مأتمَ عَزاءٍ عَلى وسادتِي ،
و أتسَربُ عبرَ شقوقِي و تمتلِئ بالدَمع كلُ حُفري
و يرفضُ النَوم التَوَسُدَ معِي ، رُغم أنِي أنامُ عَلى الحَرير و القطنِيَة
لستِ حُلمًا ، أنتِ واقِع جَعل حياتِي شقِية
أودُ الإستِقاظ منه أو المنِيَة
تعِبتُ مِن العيش في الوَهم المَرير
أنتِ مثلَ جسر عُبورُهُ يستغرق ألفَ عَام مِن المسِير
و أنا مثلَ أرجُوحة مُعلقة بجانِب بيتِي الصَغير

لِأنِي أغارُ

تمُرين بي كوهم فأفِيق مِن غفوتي الشتوية
قبل تسَلل أشعَة الشمس الفتِية
اجَهز قدحِي مِن القهوَة التُرمُسية
اجلسُ بمكتبي بمِزاج مُهتَرئ أنتظِر البَلية
واراقِب كومَة صورِكِ ،
أخاطِبكِ لما أنتِ مختَلة عُنْجُهيّة
كيف سرَقتِني مِن أشيائِي و عالمِي
كيف لا تصمُتين ولا تردِين يا شقِية
اهُز صورتكِ هزا عسَى تجيبين
تسخرُ الجدرانُ منِي
و تتهامسُ عَنكِ كتُبي ؛ و تتسَربُ الكلمَات مِن الهوامِش هربًا من العنصُريَة
اتركينِي اسألُ تلكَ العينَان الشمعِيتان وأقبلهمَا بعَفوية
أتركيني أصنعُ بهما مركبَين وَرَقيَيْن ببَحر مُقلتيكِ الزيتُوني
اتركينِي أداعِب خصلاتِ ذاكَ الشَعر الأشقر الشمسِي
اتركينِي أعلمُ جدائلكِ الرقصَ عَلى كتفيكِ برَوية
كيف لا تعشقُ الشقراءُ و من ثغركِ يُصنع العَسلُ السويسري يَا شهيَة

أنا لا أريدُ أن أسكنَكِ يَا شقراء
أنا أودُ إستِوطانكِ مثلما تفعلُ النجُوم بالفضاء
تجاورين حُسن القمَر في الضِياء
وإذا نادَى الحُسن بليل السّماء
سقط القمَر بكفه ليرى كم أنتِ حسناء
اخبريني اين تتوقفُ كل هذِه التقاسيم بجسَدك
اخبريني كيف تنمُو الأزهار اليَسَامِينية بكِ
كيف تحتلين دون حَرب و تستوطِنين بسَلام
كيف تقتلين ، وتأسِرين
وانا
اذا مَا مرَ عِطركِ برَجل اغار ؛
ان ذكر اسمكُ بلِسان رَجُل اغار ؛
اذا تحدثتِي ،لامستِي، صادقتِي ؛
عانقتِي، جالستِي ،صافحتِي رَجلا اغار
اعذري غيرتِي
فليس كل الرجَال تغار ؛
حُبي عُذري غيْرُ شائِب ؛
لم اقرأ عَنكِ في غياهِيب التاريخ
انتِ خريطة سِرية لِعالم رابع ،
انتِ تتكونين مِن الكون
العالم ، و المجَرة

و انا عالِمٌ رياضِي ، كِيميائِي ،جغرافِي
آخذ تضاريسَك و مفاتيحكِ النِسوية
أرسمُ لي بك خريطة إستثنائية
و اقسمُ جسدكِ لقارات
لدُوَيلات ،لمدن ،وبلدات
ثم اسكنكي ، بل أستوطنكِ بعدوانية
شقراء مَرَت من هنا بجَدَائل ذهبية
فأخذت نِساء الكون مِن كحل عَينيها التُركوازية
ولما مرَت بي لم أعرف كيف
فتنتنِي ... و هَفتنِي ...ونفتنِي
انا الان بالبَرْزخ الزمُردي ،
فِي المَنفى ...
بين الإنتِظار ؛ الإحتِظار ، والمَنِية
و انتِ تثيرين فِتنة عَلى الكون
تلمِسين ضفائركِ السُنبلية ،
فتفتِنين العالم بأكملِه ،
دونَ ان تخلعِي مِن ثيابكِ شيئ
اخبريني كيفَ تتمرَدين ،
اخبريني كيفَ تتعصَبين ،
عن شمُوخ كبريائكِ كيفَ تتكبرين ؛
اخبريني كيف تشتعِل انوثتكِ ليلا ،

كيف تبتعدِين ولا تشتاقِين ؛
و لستِ مثلَ النِساء الباقِين ؛
من اين تأتي النِساء مثلكِ و يصتادهُ الشاهِين
لم تتركي شيئا يُقال في الغزل و تركتِ الشِعر يتيمًا
إعذريني إن بَدَوت حزينًا
إن بَدوت كورقة الخريفِ مُصفرا مريرًا
و كلمَا سألني طِفل عن الحَلوى صَرخت شريرًا
لماذا رحلتِي بالشتاء و تركتنِي وحيدًا
أخذتِ شفاهِي وإبتسامَتي و هجرتنِي سقيمًا
هَيكل عَظم و عَلى الحيَاة نقيمًا
سامِحيني إن صَرخت بحنِين إعترانِي نحيبًا
سامِحيني إن أزعجكِ وجَعي مختنِقا بالبُكاء
سأمُوت بصَمت الخنفسَاء
و لن أصدِر جَعجَعة أو نديبًا .

إهداء إلى فتيل الأرواح المُنطفئ

إهداءٌ للأرواح التي قتلت غدرا ، و ما كان لنا فيها قِصاص ، إهداءٌ للوجع ، الألم و تجاويف الفراغ الرَهيب الذي تركوه فينا ، إلى كل من قتل و ظن أنه أحسَن صنيعا ، إلى كل من أزهق نفسا و إغتصب روحَ طِفل بريئ ، إهداءٌ لأهاليهم ، و ذويهم و صَبرًا ،صَبرًا ، وسِلوانا .

كنتُ غارقة أهجُو الحُبّ و نسيت أن بلدي أحق بالهجاء يقولون أنه بلد الحق و الحرية .والحق فيه بالحَياة إن قتل يُعاقبه القانون بروية ،أنرثو بلادي و بلادي الجزائر لا عَيب فيها و العيبُ فينا ، فقد ملئها الذئاب ثقوبا، سرقوا جُيوب الوطن وتركوا لنا الوطنية نفترشها و نرتديها ،فحِينما تزهق البراءة لا حق لها في القِصاص و تجاوز حق من حُقوق الإنسان العالمية، أليستِ السِّن بالسِّن ، و العين بالعين، و البادئ أظلم، أليست أرواح البشر حقا إذا ما زهقت، أفضلُ خِدمة يمكنك أن تقدمها للمجرم هي إرساله للسِّجن، لكن إلى متى، إن زوال الكون بما فيه أهون عِند الله مِن قتل نفس مُسلمة ، أيتها النفسُ لا أملك لك مِن القول اليَسير إلا : ((وَمَنْ يَقْتُل

مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّه

ُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا)) سُورة النِساء (٩٣)

إهداءٌ إلى الأرواح المغتصَبة والمدفونة غصبًا بالمقابر، وتلك التي لازالت مختفية بمكان مَا.

تهْويدَة المَوتِ

الفِراق أشدُ وجعا يَا سادَة
و فِراق المَوت أمرٌ غيْرُ مُرادَة
و من يسأل المنِية متى القدُوم
يُودعُ بها كل الزمَالة
و لكنها تأتي في وُجُوم
و تشربُ شِئت مِنها أم أبَيتَ
إسألوا حَال من مرَت عَليه منِية
من الوَجَع تمَنوا
لو أنهُم كانوا نِيام
و كانوا بأضغاثِ أحلام

يَا ليتَ الحُزن كان كِذبة
يَا ليتَ المَوت كان مثلَ غمَيضة
تنتهي بعد هُنيهة
فيبرُز لنا الجَميع حيًا لِلحظة

مثلَ طِفل صَغير يغفو الآن بالمَقابر
مقتُول غدرا بأرضِ الجَزائِر
يَنتظِر بالبَرْزخ مُنذ زمَن حائِر
أيُنصَفُ حقه أم يُصدرُ حكم جائِر
لستُ بنجل وزير أو صاحِب مَلاير
لستُ سِوى طِفل صَغير وإبن حرائِر

كلمَا جاع ذئبٌ أرخوا حِباله
أطلقوهُ نحوي يراوغ ببسَالة
أيراوغ طفلا يُحب مصرُوف البقالة
لازال يُطعمنِي حلوى وسكاكِر
كخرُوف يَعلفه بنخالة
يَسرقني مِن لعَبي و من بين مراكِبي
و أحيانًا و أنا أرتدِي حفاظة
يلفنِي بشباكِه ويغادرُ بنذالة
يتسَلى بي
مثلَ الفارة
أبقى بجوعِي ،
بألمِي ،
بدموعِي ،
وتنطفِئ بعَينَي كل الشمُوع

أتوسلُ للذِئب إطلاق السَراح
ولا الذِئب برد يُبادر و يَعبَئُ للنُواح
و هل بجَوفِ الذئاب قلوب تلاحُ
ليوم وأيام تمضِي بمَضاضة بفؤادِي المُستَباح
ماذا ؟
آن الآوانُ ليُنهي كل هَذا الصِّياح
آن الأوانُ ليَنحر كل وريدِي
إسترخِي و كلك إرتيَاح
فقد فعلتُ هَذا مِن قبل
و هو بالقانون عَادي مُبَاح
أحيانًا يزيلُ رأسِي ،
و أحيانًا أطرافِي ،
بعضا مِن أصَابعي ،
و تسقطُ أضافِري ،
يزدادُ وجعِي وصراخِي ؛
ثمّ تزفُ بلا صاتٍ روحِي .
ما ذنبي ...ما ذنبي ...
لا بُكاء يَا أمي فأحزن و يزدادُ بالقبر شقائِي
لا تخافِي البُعد و دُوم فراقِي
ولا تسألوهَا صَبرًا للفقِيد
دعُوها تبكِي إلى الهُمود

دعُوها تناجي الوَليد
لعلهُ لأمِه يرُد مِن بَعيد
أقيمِي مأتمًا يَا أمّي ،
و أنثري عَلى قبري الزهر و الوُرود
وجعِي لمْ يكن قويا يوم نعيتُ بالمَضيق
بقدر مَا كان و أنا
أنتظرُ العِيد بلهفة مَع الرفِيق
و أنتظرُ يوم الدِّراسة و طول الطريق
تمنيتُ أن أكون طبيبًا
مُختالا بآزري الأبيض بقلب رَقيق
و ليس كل مَا نتمناه حَقِيق

أخبريِنِي يَا أمّي كم تشتاق إليّ لعَبي
أخبريِنِي كم يَشتاق إليّ أبي
أخبريِنِي هل يسأل عنِي صَحبي
سامِحيني فالضِباع مَا تركت لكِي ودَاعا
سامِحيني كانت جيَاعا
كنتُ بحضنكِ صبَاحا
و رحلتُ عَنكِ مسَاءا
سامِحيني ودَدتُ البَقاء
و لما صَرخنا أين حَق الصغِير

رَدَت الحُكومة عَلى الجُرم بقول يَسير
قاتلُ الطِفل الصغِير
لا قِصاص فِيه بالمَوت أو النحِير
فالقتلُ بالقتل لا يَجوز
و وقعُوا عَلى الإعدَام بالنقِيض
و رَموهُ في السِّجن
ذِي الأكل و الغِطاء الوَفير

لفوزِي بكفزِي و بحُضنك يَا أمّي عَطِريزِي
قبليزِي عَلى خدِي وَدِعِيني
و إلى الجَنة أرسِليني
سَيَلقون ربّي يوم الوَعيد
سَيحاسِبُهم و يُلقيهم بجهَنم والسّعِير
مثلَ طِفل صَغير مَات غدرا
و ترَك أمّه تبكِي حُرقة كالطِفل اليَتيم
الجَنة تنادِي يَا أمّي و ريح النسِيم
حَسبي اللّه و نِعمَ الوَكيل

أحمَرُ شِفاهٍ مَصعُوق

توقفِي لا تستدِيري و تريني قِناعكِ بحَق الجَحيم
و قبلُ كنتِ إمرَأة مُتصِلة بي مثلَ حَبل المُشِيم ،
أعذرينِي عَلى الدُخول ،
لم أمنحكِ وقتا لتنهي ثورتكِ ،
و ترتدِي قِناعكِ الخجُول
فقد أصَبتك بالذهُول ، هَل أبكرتُ الدُخول ؟
ام أنّ الوَقت لمْ يكن وقت الوصُول ؟
كنتِ بإجتمَاع مَع رَجُل مجهُول
لا أدري لأي مَنصب يؤول ، و مَاذا عَنكِ لأصدِقائه يقولُ
و بأي مَبلغ يُمَول قبلاتِكِ ،
و فِي مكتبكِ مثلَ الذِئب يصُول و يَجول
توقعِين بقبلاتِكِ عَليه
و تمضِين بالأحمَر عَلى جَسده البتُول
و قاطعتُ عليكِ العمَل كمَا تقولِين بالدُخول
آسف يَا حَبيبتي ، ظننتكِ شخصًا خجُول
فقد إنتظرتكِ بالمَقهَى المَساء بالطول
حَبيبتي سكرتِيرة تعملُ أكثرَ منَ اللزوم

و أنا أنتظِرُ بنِيَتي مثلَ المخبُول
إتصلتُ بكِ مرارًا ؛
و بقيتُ غارقا فِي الخيَال
و كان الخط مَشغول ،
و أصبحتُ فِي حضرَة الإنتِظار مقتُول ،
و لما إشتقتُ لعينيكِ جئت بكلي أقول ،
و بأي شيئ حَبيبتي عنِي انتِ فِي شُغل مَشغول
إرتعدتِي وسارعتِ لِغلق السِّتار
و هو خرَج بسُرعة القِطار
و أمَام عيني حدَث كل الإنهيَار
سقطت إمرأة كانت تحمِل كلَ شِعار
و سقط منكِ الكبرياء و كلُ إعتبَار ؛
و أصبحتِ مثلَ قِطع الغيَار
لم تقبلكِ شفاهِي بشهوَة يوما و صبرتُ عَنكِ غيْرُ عجُول
و بقيتُ لكِ رجُلا بتُول
ترتجفُ أنامله كلمَا حاول إليكِ الوصُول
و تركتُ قلمِي بكِ مغتلا مشلول
كنتِ تقولِين أن شفاهكِ عذراء بُرعُمِية
و لكِن مُنذ متى تحترفِين التقبيل يَا شقِية
توزعين حُبكِ مثلَ الجمعيَات الخيريَة
عَلى الطاولات ؛ مثلَ الوجَبات المجانِية

عَلى الشُرفات ،
عَلى الطرُقات ،
حقا ليسَ كل عذراء شريفة ؛
أحمَرُ شفاهكِ بالكامِل مَصعُوق ؛
و شفاهكِ مرتبكة ،
و خصلات شعركِ مُبعثرة ؛
و شعركِ كالليل مَطلوق
و قبل كنتِ ؛
مثلَ السِّياسِي ،
تمارسِين الإنتخابَات ،
و فتحتِي بي حِزبا ،
و علقتِي بذاكِرتِي صُورا ،
فِي حملة مِن الوعُود و النِفاقات
فقلتِي ...
سأكون عَهدا و أعطيكَ قلبا
أعطيكَ مركبا بعَينَي ،
و أعطيكَ بسَاتين و أرضا ،
و أمدكَ بغاز الحُبّ شِتاء ،
وأبنِي لكَ طرقا بقلبي ،
وأشيدُ لكَ بي تِمثالا وصَرحا ،
صدقتكِ وإنتخبتُ بكل إقتِناع،

فإخترتُ حُبكِ ،
و إخترتكِ رئيسا عَلى جُمهوريَة قلبي
أعْلنْتُ كل ولائِي لأنظمتِك الشيُوعية ،
أفنيتُ عمرًا بالحُب و الإشتيَاق
و ما أدري أنِي أفنيته فِي الإحتِراق
و الآن أطالبُ بسُقوطكِ ،
رغم أن كل مشاعِري ،
لازالت تذعِن بولائكِ ،
إرمِي قِناعكِ أرضا وإستسلمي يا لعوبة ،
أوراقكِ صارت كلها مكشُوفة
فقد كنتِ تشتعِلين بين يدَيه كحَريق بالغابَة
بينما كنت أنام تحت ضوء الشموع بغباوَة
بعيناكِ تجيدِين الصّيد كالصِنَارة
مرَ عامان و لازلتُ أحترقُ مثلَ حِمَم و حِجارة
كونِي لغويَة و أخبرينِي كيف أصَرفُ فِعْلين بداخلِي
كيف أقول أحِبكِ و أكرهكِ ،
فِي آن واحد
و كأني أقولُ أن الثلج يسقطُ فِي الصّحراء
و فِي منتصَف يُوليُو ؛
لا تكشِري شفاهكِ مثلَ هِرة رأت فارَة
فأنتِ من أشعَل النَار بيننا و العَداوة

عندمَا أحْبَبتكِ عشقتكِ كمدِينة ،
أنا كل سُكانها ؛
عشِقتُ فيها كل طرقاتهَا ،أسواقهَا
،تضاريسهَا ، وطقسهَا، دخانهَا،
والآن مَالِي أراكِ مُحتلة ،
و أرَى بكِ قاطنين ، أرَى ضجيجًا ،
أرَى كل أضوائكِ ليلا مشتعِلة
و أراكِ تلتهبين تحْت أضوَاء المَدينة
و تقبلين بشغف ثمّ تكذبين ثمّ تمطِرين
أخبرينِي مَاذا أصَدق و أنت تمثلِين بمهَارة
دمُوع عينيك أم شفتيك القهارة
وجدتِي قالت يوما يَا بُني
من الغبَاء أن تصَدق الخائِن
إذا مَا أدبَر باكيا ،
وكأنك تأمَن الليث إذا مَا أطبَق .
فكيه ساكِنا .

كلكِ بي وَ كلِي بكِ

مِن أي ثقبٍ يتسربُ كل هذا الحنين
إليكِ يزدادُ شوقِي وجعي و يمتد الأنين
تتسعين بداخلِي كالثقبِ الأسوَدِ الكونِي ؛
و كل أفكاري تبتلعِين ؛
أزورك ليلا و أجدُ أن تقاسِيمكِ غطت بنوم عمِيق
مثلَ عُصفور سُنونو صَغير تعبَ مِن التحلِيق
أرتلُ عليكِ أشعَاري ،
و أمسحُ بيدِي عَلى تقاسِيم وجنتيكِ
فأسقطُ في فخ غمازة و بئر سَحِيق
و تتسللُ أصَابعي بحثا عن الشقِيق
تبتسِمين فيبرُز لِي القبر عَلى وجنتيك ؛
و أهمُ بتقبيل جبينكِ ، و أتلوكِ مثلَ تراتِيل الصلاة
فتتلاشيْن مثلَ سرَاب واحة الصّحراء
يُجهشُ قلمِي بالنحِيب و بالبُكاء ،
و تصرخُ بكِ كل كتاباتِي ،
تخرجُ للبحثِ عَنكِ كلُ حروفِي
وأوراقِي ، وتتسللُ الكلمَات مِن ثقوب دفاتِري مثلَ السَيل
كلكِ بي و كلِي بكِ ، إخترتكِ مِن بين النسَاء؛

و كنتِ كل إختيَاري ؛
و أنتِ أفنيتِ عُمركِ تعدِين لإنهيَاري .
أشكوكِ حَبيبتي
لربِّ السّماء
كيف أنتِ إختزلتِ بعينيكِ كل الحُسن و الجَمال
و كل مَا تبَقى تقاسَمَته النِساء و الموال
تقولِين هَل تحبنِي أم أنِي مُجرد عُصفور
إصتدتهُ مِن السّماء
أنتِ مَا تركتِ لي عينَان أنظرُ بهما للنسَاء
أنتِ بنيتِ بوجودك بينِي و بَينهن
سُورا بإرتِفاع العَلياء
و ألفُ عام مِن الشِعر ، الغزل و العَطاء
و لازلت لا أفهمُ الأنثى
أريدُ أن أهجُو مِن كوكبِ النِساء
أريدُ أن أعُود إلى زمَن قبل أن تظهر النِساء .

لازلتُ أظنُ أنِي رَجُل خارق
بكِ لا أقهَر و لا يغلبنِي جُند المَشارق
وأقف بثبات أمام قصف المَجَانق
كسَفينة التِيتانِيك عُنجُهي خارق
و ترتطِمين بي مثلَ جَبل الجَليد
تتسرَبين إليّ وتسحَبينني إلى القاع
فأصبحُ محطمًا بأجزائِي رُويدا غارق
و لم ينجُو منِي إلا القلِيل بالزوَارق
أنثركِ فوْق جروحِي العمِيقة
و كأننِي أرشُ عَلى جروحِي بارُود البنادِق
مثلَ بلسَم مُنافِق
و أسهَر الليْل كله
أتلو عليكِ الدُعاء
و لكنكِ تزيدِين وجعِي دونَ شِفاء
تلمين بي و أشكو ألمِي ،
للهِ و أنتِ كلُ مَا بي
تنامِين جُرحا و تستيقظِين بي
مثلَ الشمس تشرقِين
و تغرُبين بي ؛ تبحِرين و ترسِين بي
تحلقِين بي كالطير البَاشق
كلكِ بي و كلِي بكِ ؛

أرُشكِ بأزهَار اليَاسمِين ؛
وتقذِفيننِي
بالحِجارة و الطِين .
أتذكرُ أنِي أحْبَبتكِ
فِي أواخِر ديسمبَر
أحْبَبتكِ فِي فصْل الشِتاء
و أفرغتُ كل حَقائبي الدافِئة فِيه
و صِرتُ أعشقُ بردَه
ثلجَه، طقسَه ،و ليله
حل الشِتاء هَذا العام بدونكِ
و صِرتُ أتناولُ دُخانه وَحدي
و كأنِي أضحيتُ بالحُب يَتيمًا
صِرتُ أخافه ، و أكرهُ ثلجَه ،
وأكرهُ ليله ، و أكرهُ صَباحه
صِرتُ أكرهُ الشِتاء ، أكرهُه ، و أكرهُه
و صارَ يُعاقبني و يهدِدُني بكِ ، ثم لبثتُ أتحدَاهُ
صِرتُ أتجمَرُ فوْق الثلج برجليَ و أخلع نعلِي
و ملابسِي ، وأرمِي بمعطفِي
صِرتُ أعانقُ البرد و أطوقهُ بذراعَيَ ؛
و تركتُ المَطر يَجلدِني
عَلى ظهري و جَانبي

ليتَ الشِتاء يُجمد كل ألمِي بكِ ،
و يحلُ بمشاعِري كعَصر جلِيدي
مثلمَا فعل قبل مَلايين السّنين بالمَامُوث .
الشِتاء أسوأ الفصُول ، يُجمد الليل والنهَار
يجمد الحيَاة و يَقعَمُ صوْت الطيُور
و يترُك المشاعِر تغلِي كبُركان و تثور
أسوأ مَا قمتُ به أنِي أحْبَبتكِ فِي فصْل الشِتاء
وخاطرتُ بمشاعِري و راهنتُ بقلبي و ظننتُ أن الفِراق إفتِراء
رحلتِي ؛ و تركتِ الشِتاء يُذكرني بكِ بكل شمَاتة و إزدِراء
و يعصفُ بجوفِي و يأخذ كل طيري مِن السّماء
أسوأ ما فعلت أني أحْبَبتكِ فِي الشِتاء
لم أفكر فِي خُطة عندمَا فصِلتِ عنِي كحَبل المُشِيمَة
و قطعتِ عنِي كل الغذاء
إزدادَ جفافِي و تسربْتِ منِي كينبُوع المَاء
لمْ أفكِر كيف أكملُ الحَمل و أخطو وَحدي مِن المَخاض
ثمّ وُلِدتُ بعدكِ مَيتا بالإجهَاض

إهداءٌ

جَرَائِلِسْطِينِي

القدسُ عينٌ فلسطِينيَة
و الكحلُ بها جَزائِري
بإختصَار جَرائلسطِيني

هَل وُلد بَلدي يوما يَتيم
أنامُ و أستيقظ كل يوم وجوفي أليم
فيَعتريني شوقٌ لفلسطِين و حَنين
و أحسُ بغربَة إلى القدس مُنذ سِنين
لمْ أزركِ يوما و لكِن حُبكِ مزرُوع بالوتِين
بُليتِي بصهُيون ظالِمين
و عَربٍ مُزيفٍ غيْرُ شقِيق
و كلامٌ كله كذِب و نهيق
الطيُور تهمُ بالتحلِيق
عَلى القِبة و تحضنهَا حبًا بالتطويق
و تقسِمُ باليمِين
كيف تفتِنينَ مثلَ ضوءِ العَقيق
فتفتنُ بها و تنسَى كيف الطيَرَان و الطريق

أنّ لها جناحَان لوَهلة و تصبحُ كالبَطاريق
فتصَلي بها وتتوضأ من دمع عينيها
المُنبثق كنوافِير العَقيق
و يرشِقها رصاص الغدر مُعيق
بعد حِين ؛ و تنفث آخِر شهيق
فتُسقطُ أرضا
ونسْنس رُوحَها الرّيح
فتضجُ صُراخا و تدينُ النقِيق
وين العرب وأين الشقِيق
و العرب صامتين ، نائِمين
و منهم الطاغِين
و إذا نطقوا جَميعا لم يتوقفوا عن النهيق
كفلسطيني يخرجُ صبَاحا
يُقبل جَبين أمّه
فتطلبُ منه السّلامة
ويسألُ الرفِيق
و يعودُ شهيدا مُطابة
و يراهنُ الجَميع هذِه المرة
أينسِفُ مسجدا ،
بيتا ،أم
مُستشفى ببَيت حانون

و قبل أنْ ينشفُ دمعُ الولِية الرَقيق ؛
وقتَ الشرُوق
يعتدِي عليكِ جُند الكلاب الغبية السَحيق
بإعتِقال ، إظطِهاد ونهيق
،يَنتهي بمنِية
و يَنحر بمجَازر كل فريق
جباليا ، بيت لاهيَا
و بَيت حانون
وقصَفوا حتى المَدارس بالتدقِيق
و رَأينا فِي الجرَائد
أشلاءَكم مُبعثرة
و رأينا دمَاءكم مُرَاقة طول الطريق
أطفالكم ، نِساءكم
شيُوخكم و ديَاركم مُرابة
نصبُوا خيَاما
لِعزاء الجَميع
قالوا مسَاكين مَاتوا
إحترَقوا ، قصِفوا ؛
أستبيحُوا ؛ نفقوا كالأسمَاك
هَلكوا ،
و ما نهضوا ولا عادُوا

كفى
و صَهٍ لا تقل و كف عن النهيق
مَاتوا مسَاكين
مذلولِين ، صِغارا
بل شامِخون ، علِييون ،
كطيُور البَاشق
إرتقوا إلى السّماء بالتحلِيق
نحنُ المساكِين
ففلسطِين لا زالت تقاومُ الزندِيق
و لا زالت مثلَ الرّبيع الوَريق
و نحن لازلنا مربُوطين عِند الكرسِي
بسَلاسل إلى الرّيق
و كل لسَان للحِذاء لعِيق
ضعِي الكوفِية و قاتل يَا شقِيق
لا تخبُو شجاعَتك
ولا تنقص جسارتُك
و إن فضت يوما رصَاصتك
أقم له ثورَة حِجارة و سَكاكِين
و إعصر عَلى خطِ السّكين سُما يقين
و باغِته مثلَ الليث مِن كل مَضِيق
و تحت كل نفق عتيق

و وَجه له القاضِية
و ما دُمتَ حيًا تبقى كلابًا مُعادية
لِكل جَرائلسطِيني شقِيق
و تحيا كتائبُ القسام شكِيمة
تحيَا الأسُودُ السَودَاء للعَدُو مُهيبة
الحَجر ، الشجَر ،
و أغصا نُ الزيتون
حتّى الطِفل الصغِير و كلها يقاومُ
لا تغريه ألعَاب الأقرَان
و رُغمَ البَليتان ، و رُغمَ الخائِنان
و بَدَل الدمع والبُكاء و تقرُح الأجفان
يُصوب بعِصِي ، بحِجارة ليسقط كل الأذقان
كلُ شبر بفلسطِين يقاتلُ العُدوان
و يطلبُ الحُسنيَان
و يطلبُ الحُسنيَان
و قالهَا عُمَرُ المختار ليث الصّحراء للعَدُو المُهان
نحنُ لن نستسلِم
ننتصرُ أو نموتُ
تضخِين كالدّم الحُر بالعرُوق
الرجَال يُولدون بفلسطِين و قدس العتِيق
و يَتعلمُون كالصُقور التحلِيق

أنتِ لنا بالجَزائر قلبٌ شقِيق
فِلسطِين وَطني الحَقيق
وإن حاصرُوه و شددُوا عَليه بالتطويق
يَبقى وَطني الأنِيق
و يَبقى مُزهرا كالرّبيع الوَريق
كل مَا مَات جَزائِري و إلتحَق بالرَفيق
تمَنى لوْ
وُلد بأرضكِ فلسطِيني حُرُ طلِيق
الحُرّية قريبَة نكادُ نراهَا فِي فم الإبريق
و القدسُ لدولة فلسطِين لآخِر شهيق .

ليتنِي أعُود لِصَدر أمِّي

ليتنَا نعودُ أطفالا صِغارا
كما كنَا يوما كالرّبيع الوَريق
نزيلُ كل مَا فينا مِن حِقد وضغِينة
لا نحملُ مِن الدُنيا همًا و غبينَة
فجْرا ...
أطرقُ بابكِ و تخرُجين سَريعة
نجري ببسَاتين الزهر و الأقحُوان
ونقطفُ مِن كل مَرج زهر اليَاسمِين
أصبُو وَرَاكي مثلَ فراشة أرجُوانية
و تختفين بين الوُرود والريَاحين
تحُطين بين الشوكِ والياسمِين
أخافُ عليكِ ببراءة طِفل
و أمدُ يدِي أسحبكِ ،
مِن بين الثنايَا ،
مُقتحِما العِصي والحِجارة
تزلُ قدمِي وأسقطُ بعُطفاه

و أفقِدُ فِردَة حِذائي و أخافُ غضبَ اماه
و تنزف قدمِي ببطئ وأغسلها بالعين الوَريدَة
ثمّ أنهض أنفض الغبار عني بشكِيمة
أعدُو ورائكي و أجري كأني أسَابق المُهرة
ليتنِي أعُود طفلا والعيش الزهيد
فأنام بحُضن أمّي الرَغيد
و يَكون كل هَمِي
مِن أين يأتِي الأطفالُ يَا أمّي
فتبتسم لي وتغني التهويدَة
نم نم يَا صَغيري
فأسألُ نفسِي لمَاذا خُلِقنا
إن كنا نفنَى بعد ذلكَ و للقبر المعِيدة
فتقولِين للهِ فِي الخلق مَا شاء
و لما أكبَر أعِي أن الربّ رَب السّماء
و له فِي خلقِنا مآرب و ربَاء
بطاعَة و تضرُع فِي كل دُعاء
ولا تعطِي يُمناك شيئا ريَاء
و تغتب صاحِبك لإستِياء
و تظلِم أخِيك فِي العَدل والقضاء
ولنمضِي فِي الدُنيا كالغربَاء
و الجَنة بعد ذلكَ لكَ جَزاء

أجري بطائِرتي الورقية الحمراء
يَرفعُهَا الهَواء عاليًا فِي عَين السّماء
و ترتفعُ عاليًا أحلامِي و تحلقُ أمَالي
كل مَا يشغلُ بالِي
ألا تسقط كمَا سَقطتْ كلُ مَا لدَيّ مِن الأشيَاء
و يَعزفُ قلبي عَلى أوتار العُود الشجيَة
كقِطعة أندَلسِية
ثم مِن حيثُ لا أدري
تأتِي الرّيح و تصفعُها أرضا بأرُومة
أخافُ ألا تطِير و ألا تجيد التحلِيق
ثمّ أحزنُ و يضيقُ بي النُسُم
و أحمِلها لأرحَل مُحتقر
ثمّ أسمعُ صوتا يَا هَذا توقف عن الكدَر
دَعها بالهواءِ و توَكل عَلى المُقتدر
إن من شدَ سَبعا لبَ السّماء المُعتصِر
و جَعل الأرض بسَاطا و لِنَار البَطن غِطاء
و زرعَ النجُوم كالخرَز فِي الفضاء
و من أمرُهُ بين كافٍ ونون قولا منتظِر
سيكونُ لكَ عَونا و يمنعُ عنك الشقاء
و تنفلتُ شدَة عَقدِ الغل المَقيت
و يُفرج عَنك مِن كل عُسر و مَضيق

لا تخف السُقوط مِن العُلى
فلو هابَت مِن العَلياء الطيُور
لبَقيت عَلى الأرض أبدَ الدّهر
هائِبة لم يَبطِروا
و تخلت عن جناحَيها لمْ يُقلِعوا
تمتري التحلِيق لمْ يقدِروا
و خافت تعرضهَا للكسُور لم يجرؤوا
ليتنَا نعودُ صِغارا كمَا كنا
فجراحُ القدَم تطيبُ و تروح
و قروحُ القلب تصرخُ و تنوح
حِين كان أكبَر مَخاوفِي
رُؤية الوحُوش فِي المنامَة تلوح
و الآن أرَى الوحُوش حَولي تقتلُ و تبيح
و الحَرب قِلاعها أوزارُها مُقامة
والنِيران تعلو مُضرَمة
و أتساءلُ أين السّلامة
أفيقُ إلى الحيَاة فأجدُها مُظلمة
فتتيقظ حواسِي مُجفلة
و أهرعُ إلى سَريري لأنام مُثقلة
و قد تدَجت علي مُخنقة
وألمت بي مُكرهة

ليتنِي أعُود صَغيرا يَا أسَامة
ليتنِي مَا كبرتُ بالعُمر كالرُمانة
و صِرتُ أنتظرُ بالشجَر القطاف
فإزدَادَ حَجمِي وإحمِراري
و تعفنَ جَوفِي لِطول إنتظاري
نهرتنِي أمَاهُ بالقول
يا ولدِي لا تكن للزمَن قنُوط
كن طيبًا كالعَسل لِسنين مَحطوط
لا يفسدُ ولا يُنبتُ عطنا ولا عَفنا
ليتنِي طِفل صَغير
أعُود لصَدري أمّي

ترَانِي بكِ هَكذا أبله

كلمَا شعرتُ بالجُوع يُباغتنِي
أفتحُ كتابي لأقرأ
فتجدنِي أحدثُ الحَركات ،
الظمُوم ،السُكون ،
الفواصِل و النقاط ،
و أجادِلُ الحرُوف بكِ ،
ترَانِي هَكذا أبله ،
ثمّ أحدثُ صوركِ بالجدَار
أزيلُ وأعلقُ أخرَى
أمسحُ عنها الغبَار
فتسخرُ منِي الجُدران
ترَانِي هَكذا أبله
أنظِفُ قفصَ البُلبُل
أطعِمُهُ فيفرحُ
و أطالبهُ أن يُغردُ بكِ
أشدُ شفاهِي ثمّ أغرد
ترَانِي هَكذا أبله
هَل أشرَحُ الشوق إليكِ كلهُ

أمْ بعضًا مِن الشوق أختصِر
أحملُ فرشاتِي وعُلبة ألوانِي
كلُ لون أصفعُ به لوحَتِي
يُصبحُ أبيض كالسِحر
ترَاكِي لا تتلونين إلا بداخلِي
هَل أشكو أم أنفجر
أرمِيها جانبًا بعصَبية
أستلقِي و قد إستفزتنِي الألوانُ و الضجَر
ماذا تفعلين الآن يا عُنجُهيَة
ألازلتِ تفكرين بي بطفوليَة
و كيف حالُ احدَاقِك التُركوازية أغارَت الحُور
ثمّ أقبلُ وسادتِي الريشيَة فيها منكِ بعضُ العِطر
ترَانِي هَكذا أبله
أنزلُ إلى الشارع أغنِي الشِعر
وأحدثُ نفسِي وأنا أسيرُ بحَذر
مَررنا مِن هُنا و هُناك و تركنا الأثر
و هُنا سَقطت مِنها ضِحكة عُنفوانِية
أنحَنِي و أحمِلها بالنابِ والظفر
أقبلها ثمّ تنفلتُ منِي ضِحكة جُنونية
يلتفتُ المَارة حَولي
يتهامسُون أمري مَاذا دهَاكِ

و يَسخرُون من حالي عساك
ترَانِي هكذا أبله
لم أعد أبالِي بالعالم
فأنت حَبيبتي كلُ مَا يشغل بالي
ليتكِ كلُ مَا حَولي
و ليت كلُ مَا حَولي أنتِ
أتذكرُ عَينيكِ يَا سَلمى
أتذكرُ كم كان زرقاوَين جَوهريَين
كسَمَاء و بَحرين
كشمس و قمَرين
و كلمَا مرَرت بي
أغرقتِنِي وتسَلل الأزرق بي
مثلَ مُحيط يَحمل جَزيرتين
صِرت نزيلا بالإثنتين
صِرت مَهوُوسًا باللبين
أحبَبتُ زرقة عَينيكِ ، فصِرت
أزرقا ، و صارَ صَوتِي أزرقا
، قلبي أزرقا ، الأزرق يمتدُ بي
مثلَ إمتداد السّماء
و مُنذ أن أحْبَبتكِ
أصبحتُ ثمِلا بعينيكِ

و ما الرّيمُ أمَام سحر عَينيكِ يفتن
مُترنحًا كلما رمشتي بالجفن
أنظري لي أريدُ أن أزداد ثمَالة
خمرا بهما أم أزرقٌ فيهما
و أي نبيذ تصنعان كِلتيهمَا
و كلمَا مر بهما الكحل
مثلَ الحُسام المُستل
فتنتِ بهما يَا سَلمى المُعتل
و أي من رَآكِ سَلِيم العَقل
أعلنَ للجُنون السَبيل
وأصبحَ مِن بَني الثاويَان
و أوقدَ نارا بالصَحاري
و صارَ قيسًا لا يُدَاري
و مَحرُوقا بالجَمر و النار
يَهيمُ كالمَجنون
أليلا غشاهُ أم نهارا
سَلمى لا ترُدي كالمُعتاد
أفؤادُكِ حَديدٌ أم لبُ حَجر
تقفِين بي وتتوَهَجين بداخلِي كالقمَر
و مثلمَا تفعلُ النجُوم بالسَمَاء و المَجَر
أكادُ لا أستطِيع إخفاء حُبي مِن الثغر

تتسَربين منِي كالعِطر
مِن بريق عَيني ، ذاكِرتي
مِن صَوتِي ، مِن دَهَاليز عُمري
ثمّ أضخكِ حِبرا ليليًا بقلمِي
و كلمَا ودَدتُ رُؤيتكِ
كتبتُ عَنكِ للحَنين المُستعر
و عاتبتكِ فِي كتاباتِي و ألقيتُ بعض الشِعر
و نثرتكِ بين السُطور
و عطرتكِ بالياسَمِين العَطِر
سَلبنِي الشوقُ إليكِ و أصبحتُ مَقهورا كدِرا
لمْ أترك مكانا إلا و به ذكرتكِ خبَرًا
أكتبكِ عَلى الأورَاق ، هَوامِش كتُبي ، أصَابعي ،
جُدارن غرفتِي ؛ مُنفجرا
و كل مَا يمكنُ الكتابة عَليه مِن جلدِي
أنتِ تبدِيننني بالشوق
تحْدِثِين بي كل هَذا القصف
تمطِرينِنِي بوَابل مِن النظرَات و الجَمر
و تنتظِرين منِي أن أحيَا كالنمِر
و سَماءكِ زرقاء لا ترحمُ النظر
تكادُ تأخذ شهيقي و لا تعيدُ زفيري
تنبُضِين بي فيُزهر رَبيعي

و يُشرقُ عُباد الشمس ببسَاتيني
القلمُ يَا حَبيبتي يُحدثُ فِتنة
قد يصنعُ حربا
و يُخمدُ أخرى
قد يَجمع بين إثنين
و قد يُفرق بين أمَة
قد يُعالج جرحا
وقد يَجعل آخرَ ينزفُ بشِدة
فكن بين يدَيه حذرا
و متى أكتبُ عَنكِ يهجرنِي الصَبر
أكونُ فِي غربة عن جموحي و تحترق كلماتي بالظجر
تسقطِين أنتِ بي فتختفِي
عن الحيَاة كلُ النِساء العُذر
كلُ ما أجيدُه هو تلقِينُ القلم عَنكِ
انا لا أجيدُ السيدَات و نفث الغزل و الشِعر فِيهن
مثلَ أديب يجيدُ إستِخدَام
القلمُ و الكلمَات بخطر
مثلَ مُتبارز بالسَيف يَعلم تمامًا
أين يُصيب خصمَه بضرَبات الحُسام
أما أنتِ فتعلمين بالتمَام
كيف تصبيننِي بالنظرات و تنهين قدَري

تتركِين بي شيئا
ثمّ ترحلِين بالنَهار كفِرَار القمَر
فِي حِين تركتِي بي كل شيئ بلا عُذر
أتعلمِين أنه هَكذا نفق مَالِك الحَزين
أنتِ آخِر مَا تبَقى مِن شتول الوُرود والريَاحين
آخِر مَا تبَقى مِن زيزفون الرّبيع
عيناكِ آخِر ما تبَقى من حَجر الزركون
و آخِر مَوجَة ليلية مِن الزيتون
كم إشتقتُ إلى مُصافحَة اليَاسمِين
كم إشتقتُ إلى مُحادثة بَتلات اليَاسمِين
كم إشتقتُ إلى تقبيل شِفاه اليَاسمِين
أنتِ آخِرُ ما تبَقى مِن الشِتاء الحَزين
أنتِ آخِرُ ما تبَقى مِن قصائدِ الحنِين
آخِرُ مَا كتبتهُ عن هُروب الفرَاشات مُنذ سِنين
أنتِ آخِرُ مَا رسَمته مِن الأحلام
آخِرُ ما عَرَفته قبل قدُوم الحَرب و رحِيل السّلام
أنت آخِرُ مَا تبَقى مِن مَكاتيب الغرَام

بعضُ الطبَاع

أنا أمُوت كل يوم بلا رجُوع
و رُغمَ ذلكَ مازلت حيًا موجُوع
لمْ أعد أشعرُ بالبَرد
كالسَابق
فشِتاء هَذا العام
عندمَا تأكدَ مِن غيابكِ
أوقدَ حواسِي ، سَرير فِكري ،
و كل مَا تبَقى منِي يَصرُخُ غيْرُ مسمُوع
لقد توَقفتُ عن العيش بالوَهم
و بدأتُ أتأقلم مَع الواقع الموضُوع
ليسَ صعبا أن تتناوَل الحَقيقة
بل تذكرتُ كم صعبٌ أن تكونَ مُتربيا مطبُوع
عندمَا سأل المَريض الطبيب مفجُوع
و قال له ألازلتُ عَليل أعانِي مِن المَرض الخلوع
ردَ عَليه الطبيب بغير أدب أنه سيَموت بعد أيام
حَزن المَريض بشِدة و فارَق الحيَاة
ذاتَ اليوم مِن الأكل ممنُوع

وَقاحَة كلُ الحَقيقة
مَاذا سَيحدثُ لو كنا أكثرَ لبَاقة
لو الطبيب قال له
لدَيك أيام لتعيشها بعدُ بسَعادة
لعاش المَريض بزيادَة
بعضُ الكلام يَقتلُ مثل الرصاصة مسموع
مَاذا لو قلناه بطريقة جميلة مطبوع
عندمَا يَرسمُ طِفل قلبًا
و يُخبر معلمه ما رأيكَ بالفراشة
فيرمي مُعلِمه الرَسم أرضا
أتسخرُ منِي يَا هَذا
أتتكلمُ عن الحب مُنذ الآن
فيضحكُ التلامِيذ
و تسقطُ دمعتان مِن البرائة
هَذا مَا رَأيته عندمَا كنتُ بالحدِيقة
يُريها لأمِه فترَى الفرَاشة
بل و تراها مُتلونة زاهِية
ليسَ عليكَ أن تكونَ الأشيَاءُ مثلمَا تراهَا
فالأشيَاء تغيرَت مُنذ رحيلكِ
قوسُ قزح أصبحَ أبيضا وأسوَدا
و أشعَة الشمس أصبَحت باردَة

القمَر ليلا أصبحَ دافِئا
مَاذا تركتِي
وَ أنتِ قد
أخذتِي صُورتِي و كل تفاصيلِي
و أنتِ تركتِي
أصبحتُ أحدقُ فِي المِرآةِ
و لا أدري نفسِي أرَى أم أراكِ
ثمّ أعُود إلى كتاباتِي
أقرأ كل مَا كتبتهُ عَنكِ
فأجدُ أن كل مَا قلتُ لم يَصِفكِ
أنتِ تقبَعين بين الواقِع و الخيَال
أنتِ بداخلِي تصدخِين بكل الكلام
كلمَا حَضرتِ أنتِ إختصَركِ السُكوت
أغبَاءٌ أن تكونِي حَديثا بين نفسِي
و بينِي
أنا رَجُل إن أحبَبتُ لا أخبرُ أحدًا عَنكِ
أحِبكِ بلا خجَل و تعصِفين بداخلِي
قصائدِ عِشق و بُركان حِمَم

و كلمَا أردتُ أن أخبرَ عَنكِ أمّي
أخجلُ
و كلمَا أردتُ أن أعلِن عن حُبي
أخجلُ
أحِبكِ بخجَل
أحتاجُ لِعشرين سنَة لأعُلن حُبكِ أمَام أمّي
و عِشرين سنَة لتكوِنِي لي
صَنفِيِنِي كمَا تحِبين
طِفل أمّه
خجُولُ عَصرهِ
لكِن كلمَا رأتكِ أمّي بعَينَيَ أرَاها غضبًا تشتعِل
كيف ترَى أسَدا رَبَته تصتَاده نمِرة
بمهَارَة
كيف ترَى إبنَها ليلا بإسمها يَهذِي
مثلَ الثمِل بلا وَعي
كلُ أنثى بما تملكُ تغار .
كلمَا أغمَضتُ عينَاي لأنام
إستفقتِي بي و كأنكِ تنتظِرين
أن أطفِئ ضوْء الليل
تجتاحِين أحلامِي

و تجتاحِين نهَاري
و كل مَا يزيدُ مِن إنهيَاري
أنكِ تمُرين بي مثلَ الطيف
غير مُبالِي
تحَدِقين بي و تزيدِين مِن إنكسَاري
و تنعكِسين بأجزائِي
تحدِثين ثقوبًا بي
ثمّ أصرُخ بكبريائِي
ثمّ يخبُو بَريقكِ
و تتسَربين مِن ثقوبي
إلا أنكِ تبقِينَ تسرينَ بي
مثلَ نهر الفرَاة

إلتفِتِي

أيَتها الشقرَاء إلتفِتِي
أريِنِي وجهَكِ حتّى لا أنظرَ بعدكِ إلى النِساء خلفِي
دعيِنِي أتغزلُ بضفائِركِ
مثلَ نهر النِّيل الليلِي عَلى كتِفيكِ
و أرَى صاحِبة هَذا الخصر النحِيف
و عُدتُ سيرا إلى البَيت أسَابق تشكل السَحاب
و فِي الطريق لفتَ نظري حَجَر بُركانِي
فستان أحمَر مُخرَم جَوهَري
يَنتهي بفتحَة ظهر واسِعة
تخيلتكِ تتراقصِين فِيه
تخيلته يشدُ قوامكِ النحِيف
و تشدِين انتِ أنفاسِي به
بعتُ ساعَتي و كل مَعدِن ثمِين أملِكهُ
إبتعتهُ لكِ و أرسَلتهُ ليُعَانِق جسدكِ
بعُنوان مجهُول
و أقمتُ لكِ بقصري حَفل
ودَعوتكِ مَع مائة مِن الحُضور

حضرَ الجَميع
و لما دخلتِي بالفستان الأحمَر
إختفى الجَميع حالا
و بقيتِ أنتِ
كنتُ مثلَ المقتول
أيَقتلُ الأحمَر كل رَجُل أم أنا المخبُول
الأحمَر يَا سيدتِي ترَاقِصين به عَقلي مثلَ كأس النَبيذ
كلمَا وقفتُ عَلى ركبتي و نظرتُ
إلى الأحمَر بكِ
نالت مِن عقلِي الثمَالة
سَقطت منِي أجزائِي
و تخدرَت أصَابعِي
و تسَرب إليّ الجُمود
كلمَا إقتربتُ لأرَاقِصك تعَثرتُ بظلِي
و شتتَ الأحمَر إنتباهِي
ثمّ أرَى رَجُلا شجاعا فتيًا
يُراقِصُكِ بالفستان الأحمَر
و الفستان ينحَنِي كذيل سَمكة عَلى ساقيكِ
أراكِ تراقِصين غيري فيلتهبُ كبريائِي
أنا الأحَق أن أراقِص فستانِي الجَوهَري ،
و أطفئ المُوسِيقى بعُنجُهية ؛

يَجلسُ الجَميع بأماكِنهم
و تخلو أمامِي الساحَة تحْت الأضوَاء الذهَبية
ثمّ أشعِلها و أمدُ أنامِلي مُرتجفة
هَل لي برقصَة يَا سيدتِي الغيْدَاء
أراكِ تتراقصِين بين يدَيَ ؛
مثلَ البَجَعة
تلتفِين بخِفة
و عَلى أصَابِع قدميكِ ،
تكادَين تلامِسين الأرض ،
تمتدُ يدَاي حَول خصركِ ،
فتنتهين و تنتهي المُوسِيقى عِنده ،
أراقِبكِ تبتعدِين بالفستان الأحمَر ،
و تفتِنين كل ما بي من عقل ،
و تتركِين الحُضور بالأحمَر مقتُول
سيدتِي كلُ مَا ترتدِينهُ يُسَببُ الذهُول
عُودي فعقلي صارَ بكِ مفتُون
شقرَاء بفستان أحمَر مُخرَم
و عَين بلون الزيتُون
المَوت أمامَهُ محتُوم
الأحمَر يَا حَبيبتي يَليقُ بلون بشرتكِ البيضاء
ولا ترتدِي الأحمَر سِوى إمرأة حَسناء

لا أدري من صاحِبُ ذاك الفستان الأحمَر
لكِنهُ إرتكبَ جَريمة بحَق الرجَال
حِين أعلنَ الأحمَر عَلى الفستان
و وَقعتِهِ أنتِ بجسَدك بكل كِبرياء
أيُ أنوثة نرجَسِيَة تحملِين
تمشِين و مثلَ هِرة تترنحِين
تأخذِين بلبي ؛
و كل المدِيح تسمَعِين
تعالِي أجعَلكِ وردَة حمرَاء بداخلِي لو تريدِين
أسقيك وأذلل لك الشمس و أرُشكِ بالياسَمِين
أراقِبكِ مثلَ طِفل صَغير تنمُوين
أغطِيكِ بجوفِي و أمنعُ عَنكِ البَرد وفؤادًا تحتضِنين
الوُرود يَا حَبيبي تحتاجُ إلى الحُبّ
تحتاجُ إلى الإهتمَام
فحتى الحَجرُ إذا مَا أسقيتَهُ حبًا
إنفجَرَ قلبهُ و أنبَتَ وردَا
تعالِي يَا سَيدتِي
تعالِي أسمِعك غزلا بمستواك
تعالِي و تراقصِي مع إيقاع حُرُوفي
وإجعلينِي خلخالا بمعصَمكِ
و قِرطا بأذنكِ ؛

و عِقدا بعُنقِك ؛
تعالِي فأنا أعشقُ الإلتفاف حولكِ؛
الفستان الأحمَر يَا سيدتِي
لم يترُك لي كلاما يُقال يَليقُ بك
ينساب بتقاسِيم جسدكِ
و تملئِين تفاصِيله
و فتحَة الظهر فِتنَة
فرَقتْ بين المشرق والمغرب
حَبيبتي دعينِي أقولُ لكِ
غزلا غير الذي قِيل فِي النِساء
دعينِي أفصِلُ لكِ حبًا غيْرَ الذي
عَرَفتهُ الأرضُ و السّماء .

إغفِرِي لِي كل النثر مِن الوعُودِ

إغفِرِي لِي كل مَا بَذلتُ مِن الوعُودِ
فإنِي قطعتُ لكِ فيهَا مَا يكفِي لِعُقود
أنا رَجُل شرقِيٌ مليئ بالردُود
أحْبَبتكِ كأني لمْ أحُب إمرَأة مِن عُهُود
و نثرتُ لكِ نجُوم السّماء
و رَصَصتُها حَول ساحة عُنقكِ كالعَنقود
و رَسمتكِ عَلى سَفح وَرق الوُرود
و بسَاطا عَلى قلبي ممدُود
و وضعتُ لكِ بين قلبي و عقلِي
سدا و رسمتُ حدُود
فِي الحُبّ يا حَبيبتي أقصَيتُ العَقل
و أمَرتُ القلب بالصُمود
و هَذا مقصُود
إمتَلئت بحبكِ مَا فاق حَمل الزنود
حُبكِ يمتدُ بالوَتِين مشدُود
و يَبقى عَلى مَر الزمَان مشهُود

الماضي يَلتفُ كالغزل يَفِلُ لا يعُود
و لكِن لمَاذا أبقى له حَقود
أربطهُ بمِعصَم حياتِي بالقيُود
و أجلِسُ بجانِبهِ أعاتِبهُ فيُرينِي بعض الذكريَات
و يَظهرُ كالودُود ، فيُشِيرُ إلى بعض الناسِ المُنافِقِ النقوض
ثمّ أقطع مِعصمِي به و أتمنَى لو أختفِي مِن الوُجود
لا تريني من مرَ على زمَانِي كغيم عَنود القِطرَان
من أمطرَني حِجارَة ، و حفر رُضوض
ينَام الماضِي عَلى سَرير ذاكِرتي و يُوهِمُنِي بالنِسيان
فيَستيقِضُ غفلة و أبقى لا أستطِيعُ النهُوض
حُبكِ مُتجردٌ مِن الماضِي ،
و الحاضِر و المُستقبل ،
حُبكِ مُتعلقٌ بوقت مَجَري غير مَعلوم
عندمَا أحْبَبتكِ نسيتُ كم أبلغ مِن العُمر
كنتُ بسِن الأربَعين ،
و أحببتُ قبلكِ نِساء يُقاربن السِّتين
و قلتُ غزلا فِيهن و تسَربت منِي
القصائِد فِي كل إمرأة رأيتهَا قبل تِشرين
و كل من مرَت بقلبي عبر السّنين
و عندمَا أحْبَبتكِ
إختصَرت كل هَذا

و قفزت النساء من عَيني إلى الحضِيض
أصبحتُ عاشقا بسِن العِشرين
و إختصَرتِ كل نِساء عُمري الحَزين
تقفِين بين كل هَذا
و فوْق كل هَذا تغارين
تقولِين أحِبك
فيُزهر قلبي مثلَ أقحُوان الرّبيع
و أزرعكِ وردا و يَاسَمِين بحديقة مَنزلي الصّيفِي
أصنعُ منكِ شهدًا
و أملئكِ فِي قوارير للتخزين
قولِي أحِبكَ
و زيدينِي وَلهًا،
وأقتلينِي عِشقا ،
إغفِري لِي وعُودي مِن النثر
ألا وَعدتكِ ،
أن تكونِي للأبد حَبيبتي ،
أن لا يَحدث بنا الفِراق ،
أتذكرين حِينما نفثتُ الهُراء
أخوض غمَار الحَرب و أعُود
أصعدُ بمَكوكٍ فضائِي للمريخ
ألفُ العالم مِن القطبِ إلى القطبِ

وسأظلُ أحِبكِ للهمُود
أتذكرين حِين أخبَرتكِ
أنِي سأفديكِ تُسُم حياتِي
و أحِبكِ مهما مرَت عَلى عُمري نِساء
إغفِري لِي فإنِي كنتُ بحبكِ كنُود
و لا أدري كيف أحببتُ غيرك
ولا أدري متى زلت قدمِي عَنك
و وقعتُ مِن شفا شِفاهكِ
كلُ رجل يُخطِئُ و تهفهُ أنثى و صَوتٌ ودُود
كلما قلت نسيتك و قطعتُ للنسيَان وعُود
قفزتِي بي
و لم أستطِع عن بُعدِك الصُمُود
أنتِ تولدِين مَع حُرُوفي
و كلمَا أطفئتُ بي وجَع الفِراق
أشعلتِ بداخلِي أخرَى
و بقيتُ أحترقُ كحِمم البُركان بلا خمُود
تؤلِمين بعضِي
و بعضِي مُعتلٌ بكلِي
حَبيبتي
الحُزن لا يَنتهي بمُجَردِ الإبتسَام
كلمَا إبتسَمنا زاد حَجمه بنا

و تقاومُ الأحْزان بداخلِي و أجثو للإنهزام
أضحيتُ أصارعُ الإنفِصام
بين وجع و مُحاولة الإبتسَام
يتسربُ منا و يتسعُ بداخلنَا
فلا نقدرُ الصُراخ ولا اللجَام
لو كنتُ أدري أنك طُفولِيٌ عَابث
و تكسر بداخلِي كل هَذا الزجاج و أنت لابث
ما أدخلتك
و تنثر البَقايا عَلى قلبي مَا أحْبَبتكِ
لو كنتُ أدري أنِي أحببتُ لصًا لاهِث
يسرقُ منِي زهرَ ثغري ، ينثرُ ورَق شجَري و يترُك لي خريفا
ما أحْبَبتكِ
لو كنتُ أعلمُ أنك ستحدِث كل هَذا الضجيج بداخلِي مَا أحْبَبتكِ
لو كنتُ أدري أنِي أراك زهرا و أنت تدُس الشوك بيدي عَابث
ما أحْبَبتكِ
لو كنتُ أدري أنك مُستثعلِب مُنذ البدَاية ما أحببتك

كلمَا تذكرتُ انِي احببتكِ

كلمَا تذكرتُ أنِي أحْبَبتكِ
أصابنِي الصُداع و الشقِيقة
كلمَا تحركتِي بداخلِي كالمَغص لدَقيقة
ألمّ بي الغثيَانُ و كأنِي أشمُ رائِحة بهارات عتِيقة
كلمَا تناولتُ أشياءكِ
صُورا، عِطرا، صوتكِ
أصابنِي فرطُ السُمنة المَقيتة
الأكل وحده لا يزيدُ الوزن
بقدر ما يَفعله التفكير ،
الحُزنُ ، و الوحدَة الرَهيقة
أنا ألتهمُك بنهَم ، مُسرفا بأنفاسكِ الشهيقة
وتزيدينِي وَجعا تغزلين خيُوطِ قلبي الرَقيقة
تلمِين بي حُزنا و تصبحُ أيَامي رتِيبة
و تفتحِين بي جُروحا قديمَة
تنثرين فوقهُ حَنينا
و تنزفِين بداخلِي
تمضِين برُفاتِي كالطوفان
أنتِ هُناك بعيدا عن مُنايْ

و أنا هنا أحاولُ خلق النِسيَان
تحَاضِرين كفِقهية فِي الحُبّ
و أستمع إليكِ مثلَ طالِبٍ بإمعَان
يُريد أن يَتعلم كيف يُمَارسُ الحُبّ بإتقان
كيف يَفهمُ النِساء مِن صَمتهن دُونَ أخذِ وإتيَان
كيف يُعاملُ ، يكلمُ ، يتغزلُ
و يُقبلُ و يُصبحُ سَيد الزمَان
و يُعزفُ صَوتكِ بداخلِي كالكمَان
فكان كلُ ما تعَلمته مِنكِ كيفَ الوَجَعُ و الخِذلان
أفنيتُ عُمري فِي دِراسَة طبع النِساء
فأرهَقني العيَاء
النِساء مخلوقٌ عَجيب عَلى شفتيهِ يقعُ الفناء
ولازلت مُبتدأ لكنِي أجيدُ الشِعر والغِناء
و أحاولُ أشكلك بسُحب السّماء
فتتشققُ أصَابعي و تتقرحُ مِن الشقاء
لا زلت أتساءلُ أغبَاءٌ من ذكاء
كيفَ تتحَول النِساء مثلَ جلدِ الحربَاء
فِي لحظة يفرَحن
و فِي أخرَى يبكِين ، يَصرُخن و يَغضبن
بحَق الكون و السّماء
مَاذا تريدُ النِساء ؟

كونِي لِي وَ ضِدَ غيري

أريدكُ أنثى عندمَا أكونُ معَكِ
و رجُلا عندمَا أغيبُ عَنكِ
أريدكُ شريفة ؛ قِديسة ، مِن العفِيفات
و معِي امرَأة مُنفجرَة بالرُومانسِيات
كونِي قوية ، ذكِية ، لا تهزك
رقصَاتُ ذِئب لعُوب على الكلمَات
كوني لي أنثى مِن اللينَات
و إمتلئ لغيري رجولة
عزيزتي ...
تعلمِي ، وإعمَلي
وعن الرذائل مِن المتكبرَات ،
و مارسي سُلطتكِ و احشدِي جَيشكِ مِن اللبُؤات
و نافسِي الرَجل فِي السِّياسة و الإنتِخابَات
فِي العمَل و النجاح و القِيادات
و إحكمي بعقلك بنباهة الحَكيمَات
وكوني إمرأة لبلدك تحقِق الإستِثمَارات
وخذي حُقوقكِ كاملة للرجال في العمَل مُساويَات
و ليسَت حُقوق نزع المَلابس و البكِينِيَات

قِطعة بقِطعة إلى أن تصبحِي مِن العَاريَات
هُفِي قيُود الغبَاء و التقلِيدات
و تحَرَري مِن العادَات و الخرَافات
أصرُخي فِي وجهِ زوَاج القاصِرات
فهي طِفلة لازلت تهوَى العرَائس و الدُميات
لا زالت تظن أن الزوَاج لعب و شايَ طاولات
ولازالت فرحَة بالحَفل و الزمرَات
و ضاعَت طفولتها كآلة حبٍّ و عمَل الجَاريَات
إلى كل فتاة مغتصَبة تبكِي
إلى كل إمرأة مُطلقة تبكِي
إلى كل إمرأة مُعَنفة تبكِي
إلى كل القابعَات بالبَيت مضطهدَات
الوَقت لمْ يَفت للنُهوض و نفض الإنكِسارات
و بناء الأحلام و فرز الخِيارَات
الإرادَة تقهر الوَقت فقط إستفيقِي قبل المَغيب
أصرُخي و إكسِري عَنكِ حاجز الصمْت المُهيب
لا مَزيد مِن القهر تحت ضوءِ الشمع و النحِيب
أثبتِي أن المَرأة يُمكنها أن تكونَ
أكثرَ مِن مُجرد آلة لِلحُب
المَرأة أكثر من جَسد جمِيل رَطِب
المرأة هي ليسَت مُجرد كعبٍ مُدَبَب

هي ...
أعظمُ أمّ تسَللتَ مِن رحمِها
الأخت التّي تجَاكِرُهَا
و تفسدُ تسريحَتك و تعانِدُها
هِي الزوجَة التّي أحببتَها و أصتفيتَها
المَرأة هِي السّند ، هِي الحَنان ، والأمَان ، و العَضد
المَرأة إذا غابَ الزوجُ عنهَا و نعَتهُ المنِية
شمرَت عَلى ساعِديها
و أصبَحت أبا لأولادِها
و بعثرَت كل أجزاءِها ، وتخلت عن أحلامِها
فقط ليَعيش فِيما طاب مِن الدِفءِ صِغارها
يبقى تسع اشهر يأكلُ منها العظم ثمّ ينعتها بالمخلوق الناقص
و كأنك خرجت من ظهر أبيك و لم تكن يوما بالأرحام تر
و أينما تحدث عنها وصفها بالمعيق
في حين تنقسم المَرأة لإثنين حتّى تنجب تفكيرا مُعاقا
لايتوَقفُ عن النهيق
الرَجل الذِي لا يُحسن مُعامَلة المَرأة و يَهابُ توقِيرها
و يَخجَل مِن مَدحها أمَام عَائلته و إثارَة غيرة القرينَات
الذي يُهينها ليُضحك أمّه و الأخوَات
ليَخرج مِن عَلى حضرَتهن برجُولة العُجُول و المديحَات
الذي لا يتغزلُ فيهَا إلا عِند الوَطر و الحَاجَات

فاليُراجع رُجولته و يَنظم إلى الحَيوَانات
و حَاشى الحَيوَانات
هَل رأيتَ أسَدا يَستقوي
عَلى أنثاهُ بيوم و يُبرز عليها العَضلات
أو يُهينهَا عَلى مَرعَى الزمرَات
كن رجُلا لها أو دَعها لا تملئهَا بالندَبات
فالأنثى أقوى مِن أن تكسِرها المُعامَلات
إن أسأت لها بالكلِمَات هَل تظن نفسَك رَجل القرَارات
إستغنِي عن الرَجل الذي يُدحِضكِ بالشقاء
و رجلا كلمَا حاورته يُنهي النِقاش بالصَفعَات
و عن العاطِل الجَالِس فوْق كتفيكِ و عَلى الرَاحات
يجيد النهيق بسب و شتم للوَلِيات وينتظِرُ صَرفَ المعَاشات
دُونَ عمَل و تبقى المَرأة تصرفُ عَليه فِي كل الحاجيَات
المَرأة تريدُ رجُلا يَرسمُ إبتسامتَها
لا رجُلا يَمسحُ إرتِسامَتهَا
رجُلا يَرفعُ مِن قدرهَا و يُسمِعها كل الحُلو و المدِيح
لا رجلا يُناديها يا إمرَأة ، يَا عايْلة، يَا أم العِيال و يُسمِعها النبيح
و لا يَخجَلُ مِن مُنادتها بحُلوَتِي ،بحبيبتي أمَام الجَميع
و يُخفيها بين راحَة جَفنيه مِن الرّيح
يأمُرهَا أن تكون مثلَ مَريم العذرَاء
و هو يُعاقِر الخمرَ و كل النسَاء

سَيدتِي إنفردِي بالحَياء الأصُول
و أضِيفي لتفاصِيل جسدكِ البتول
المَزيد من قِطع القماش الأسود الخمُول
فالجمَال يَا حَبيبتي هِي عَقل خجُول
لا عَلاقة له بإمتلاكِ ملامِح بَريئة
فكم مِن مَلامِح ملائِكِيَة تخفِي شيطانا مريد
و كم من أبيض يُخفي سوادَ صَمغ مدِيد
بيَاض ثلج أو سُمرة تمر
بعمليَات الشد ،المَد و التجمِيل
فأصبَحت النسَاء قالبا واحدا فِي التشكِيل
تدخل لعِيادة التجميل وتطلب وجها كما تحب بالتفصِيل
حواجب عريضة ، و وُجُوه زيتِية
من كثرة التلوين فيها صارت جمُود
شفاه منفوخة بسُمك القرود
شفطٌ لِلخصر والنهُود
والناظِر إليها لا يدري الجمَل أمُدبرٌ أم يعود
تغير لون العيُون كالحرباء
يبالغن في التحَوُل لأبعَد حدُود
تسمِيرٌ، و تبييض
أتساءلُ كيف يَبدُو مذاق الجُلود
قديما كان المرءُ يولدُ قبيحًا

و يَعيش قبيحًا لما تبقى مِن العُقود
أمّا الآن إن سخرت مِن قبحِه
مِن المُمكن أن يَسرق وجهَك و انت رَقود
يمكن للنقودِ آن تجعل من البغل مُهرة أصيلة
و لكن البغل يَبقى بغلا و لو إستطاع الصَهيل
إن الجَمال يتَجَلى مِن الداخِل صقِيل
مثلَ إكسِير الخلود
يمتدُ مِن العَقل الرجُوح ،
القلب الصَلوح ، الدِّين السّمُوح
و جمَال الرُوح
إذا كان جَوهرُك نقِيا و بُرعُمك ندِيا
سَيمتدُ الجَمال بداخلِك و يزهرُ شذِيا
ثمّ سيتسربُ العِطر إلى غِلافك الخارجي جَليًا
سَيحبك الناس لجَمال خُلقِك و قلبك و لِلخَلق نسِيا
و إذا ما أحبَ الفؤادُ قلبا
ما بَصُرتِ العَيْنُ بالخَلق عيبًا
الخارجُ مَا هو إلا مِرآة إنعِكاسٌ للعُمق
إذا كان عَفنًا أطلق نتانة خانِقا للرَمق
و إذا كان عِطرا فاح كالمِسك من الوَدق
فالحُسن لا بَنى للمَرء الدَار
و لا نفعَ صَاحبه و نجَاه مِن النَار

فلو كان الجَمال أهمُ ما فِي الدّهر
لشفِعَ الجَمال للغزال أمَام السَبع مِن النحر
إذا كان المَرءُ فارغا كالنَشر
لا يَحملُ مِن العَقل شيئا و لا مُبدِع مُخترع الفِكر
ولا مِن الخجَل ذرة و لا من التربية جُغمة النهر
ما نفعُ الجَمال إذا كان عَقلُ صَاحبه يَقع بالدبر
يأكلُ الدُود الجسَد و يفنَى بالقبر
و يَبقى جمَالُ الرُوح لسُهودٍ بين البَشر
يقولون أن الحِجاب لتَوريَة البغاءِ والعُهر
والمتحَجبات أكثر النِساء فسقا و سُعر
جَلببي قبلُ الفِكر مِن الهوَى و العَار
و ليسَ الجلبَابُ كركارٌ
والفِعلُ غدَار
سَيدتِي إرتدِيه و تمَيزي عنهَا بنقاء القلوب
أنت كونِي مُتغطية كالسهُوب
و كونِي نفسَكِ كالقمَر لا يُغشِيه مرُور اليعبُوب
فإن أصبَحن جَميعا مُومساوَات و نِساء نار لهُوب
لا يعني أن تستمِري في كشف المُفتنات
و العرَاء و تقولي كلُ ذات حِجاب سيئات
لكِن لمَاذا ؟
حِينما ترتدِين مُوضة الغرب و سِروالا مُهترءا

و مُنحنيات جسدكِ تصرخُ من القصر والحَشر
يُخيل للناظر أنكِ مُتسول مِن القهر
سِروال مُهترء ، عَقل مُهترء، مُجتمع مُهترء
ألا يَكون لِباس عُهر و جَسد بيكيني عاري بجانبِ النهر
أإذا رأيت جَميع نِساء الكون فتَحن باب عَلى الكفر
و إلى جَهنم الدَحر
و بقيتُ انتِ وحدك بالحِجاب تشعُرين بالوحدَة و الضجر
أتهرَعِين ورَائهُن للكفر
لفلِفِي حولك الخمَار و كونِي أنت كغيم طيب عنُود
طاهرة جميلة لا تقربكِ عين حَسُود
أن ذات الحِجاب كحُسن السَاهُور المُطِل بالقلودَ
و ليست كل ذات حجاب من الطاهرات تلود
كوني إمرأة خُلقِك طيع نجُود
يا عصافِيرُ يا شذى يا حَسون
و أستري جسدكِ مِن المُوبقات
ليَفوح العِطر مِن تحت الجلدِ كالزيزفون
و لا تحترقِي تحت لمَعان الذهَب و النقود
وأرتقي بعقلك و أيقِضيه مِن الجمُود
لا تجعلي حُلمك زوجا و تريه بنك مال رقود
فالرجل ليسَ فانوسًا سِحريا أو دَجاجة تبيضُ النقود
تمسَحين و تطلبينَ بلا حُدود

سِمفونية الفاتِح نوفمبَر

سلام على الأوراس العالية
العُنْجُهِيّة ببكر رصاصة المُغالية
من جبال الجزائر ولدت الضاويَة
ثورة ممزوجة بإغتباط مضاضة آلِمَة
بذلت للحرية أروَاحها مُقاتِلة
مُضرجة بدماء رجَال الباسِلة
أولُ نوفمبَر الرابع والخمسِين عُنفوانا
تاريخٌ واحد مِن كل عام يهجُو بذاكِرتِنا إلى تَدبٍ غائِر
و يَصب فينا وَجعا أخفيناهُ بين ثنايا العُمر و طويناهُ سَائر
تعودُ بذاكِرتِنا بإثنان و سِتين خريفا و حَريقا
للوراء من الكفاح المضني والعيش بالذيل لحِيقا
مابال الأرقام يتسرب منها الحُزن
كالطوفان سَحيقا
فِي حِين كنتُ أظنُ أن الحرُوف
وحدها تحفِر الجُروح بنا بعُمق الماريَانا
مَليون ونصف مَليون شهيد
و بينَ المفقودِين ، المَنفيين لبَعيد

المغدُورين ،و المَسجونين ومَقطوع بالوَريد
تأتِي يَا نوفمبَر و توقِض فِينا تاريخ جَزر دَمَوي لبَنينا
تاريخ الإستعمَار الفرنسِي الغشيم القيُود
يصعب علينا إبتلاعه وهضمه لسُهود
و لِسنين قهَرنَاه بالصُمود
و نحنُ عَلى ربِّ يقِين و رَأي عنود
أنه الذِي قتل فينَا كل الحُضور عبر العُقود
استبَاح أرضنا ، مالنا ، أولادنا ،
الصغير ، الكبير وزرع فِينا الوجَع ومزق الزنود
أجهَض منا العُرُوبَة وغرس فينا مبادئ الفرنسَة قهرا بالجُدود
و أدبغهَا فِي الجُلود
تذكرنا بجوره وأنه عَدُونا اللدُود
يقِف فِي الحَلق مثلَ شوكة عَظم لسِنين
فبلغت الحَلقوم و سَقط اللجَامُ عن الأفوَاه
صَرخت الجَزائِر فِي أول نوفمبَر
و تمَخضت ثورَة القِيام
أشعلت نيران التحَرر و كسَرت قيد الإحتِلال
ثورَة زعزعَت فِينا القيدَ و فتَحتِ الأغلال
ألقت صَوتا للشعب فإحتضنه بإجلال
يا أوراس و يَا كل بلادِي الغالية الأنِيقة
وكل شبر فيكِ مَسقِي بنُسم جَزائِريَة شكيمَة

كالليُوث الجَبل طول الليل رقيبَة
لينتف الإستعمَار الفرنسِي كالدَجاجة
أيقضِي يَا أرض بعض الثوَار
ليُخبرُونا كيف صَمدوا
لِسنين مِن الحَرب الجائِرة
نامُوا فِي الجبال ، الوديَان
و الحفر الباردَة
إلتحَفوا صَقيع الشتاء ،
تحملوا حرارة
الصّحراء ، و قهروا بسُجون فرنسا
الحَقيرة منهم المُعذب و مِنهم المَشنوق
وباتوا فِي العَراء
جَائعين ،
و أحيانًا خبزا و فتاتا يابسًا وقشور
البَصل وأوراق الشجَر
لكنَهم حَاربو مثلَ الصُقور
و اليوم بلادِي يفر مِنها الشباب بعُمر الزهُور
فِي القوَارب سابحَات نحوَ البُحور
فمنهم من يَصل و منهم الغارقات والغائِبات لِشهور
بلادِي بلادِي الجَزائِر عَظيمة و مَوطني الأنِيق

بلادِي بلادِي الجَزائِر
بدمِي عَزيزة كالرّبيع الوَريق
و أبقى لدَمٍ أجدادِي وَفيا للحُرية والتحلِيق
أدافع عَنكِ ما دُمت حيًا بكل زفير وشهيق
لستُ عبدا ، لست ذليلا ، والحمية تسري بعروقي
سَأبقى جَزائِريًا عَربيا أمَازيغيا مُسلما حرًا حرًا كالطير طلِيق
مادام اللّه ربّ الأرض والسَماء خلقنِي و حَررنِي
فلا يُمكِن لأحَد أن يَسلبني حُريتِي
ويأسِرني .

عليكِ النِسيَان

الرّبيع فصْل لا يَعنيني
و كلُ ردَاءه الأخضر ثوبٌ لا يُلهيني ؛
و كلُ أحمَر شِفاه الأقحُوان لا تغرينِي ؛
و كل أصَابع الأشجَار الزيتونِية إيَاكِ لا تنسينِي ؛
فصْلُ الرّبيع لمْ أعشقهُ مُنذ سِنين
يَا حَبيبتي فصْلُ الرّبيع كذِب وَهمِي و إنتهازي
مُنذ أن رأيتكِ تسرقِين مِن جُيوب الرّبيع
و تملئِين حَقائبكِ بكل زهُور الياسَمين
و تتركِين لِي الشوك و أغصَان التِين
لا تخدعينِي بعُيُون الرّيم
و إخلعِي عَنكِ ردَاء الخرُوف النهِيم
لمْ أعد أومِن بفصل الرّبيع
كفرتُ به عَلى جسدكِ مُنذ سِنين
عندمَا كان يحلُ عَلى شفتيكِ و يفتحُ تشققا بهما
كحبَات الرُمان اليَنيع
عندمَا كانت وجنتيكِ ترابا وَرديا خجُول
و كلمَا سَقت مُقلتيكِ الشتُول

بَرزت وردِية وزانت عِطرها كأريج الحُقول
فتسدلِين شعركِ الذهَبي المتمَوج مثلَ نهر فيَاثرا الأيسلندِي
لمْ أعد أومِن بفصل الرّبيع ،
و لمْ تعُد الوُرود الحَمراء تغريِنِي ؛
و لمْ تعُد الشمسُ تغريني ؛
و لمْ تعُد أشكال السُحب تغريني ؛
و لمْ يَعُد غِناء العَصافير يُغريني ؛
و لمْ تعُد الفرَاشات تغريِنِي ؛
و الآن و قد قتلتِي بي كل معاليم فصل الربيع ؛
والآن و قد أصبحتُ لا أفرقُ بينَ الشوق و الحَنين ؛
و كذلك أنتِ أحببتك ؛
و فتنتنِي بزورَق عَينيكِ المَكوكي ،
و نفيتنِي إلى الكون الجنُوبي ،
و لم يَعُد بإمكانِي الرجُوع إلى وَطني ؛
و لو بشكل إضطراري ،
و صِرتُ أكتب إسمكِ عَليه بألف لغة اللغة
مثلَ جدَار الحُب بباريس كانت تبدو فكرة غبية
لقد سَئمت من فصْل الرّبيع بشكل لا يُطاق
فصْل الشتاء وحده يُناسب مِزاجي
يَليقُ بمشاعِري و مَا تبَقى مِن بأس سِنيني

فالنعُد إلى خط البدَاية
فالنعُد غربَاء كمَا لمْ لو تعرفينِي
لأقتلع كل جُذور حَنينِي
أنتِ تمُرين بعُنجُهيتكِ أمامِي
و أنا أتجاهلكِ بتطرف و أتركك تمُرين بسَلام
لا تنظري إليّ بعينيكِ البُندُقيتين
فإنِي تعبتُ مِن الكلام
مَا أجمل مَا لمْ يَحدث بيننا قبل السّلام
مَا أجمل مَا حدَث معَنا بَعد السّلام
مَا أجمل لو لمْ يَحدث كلُ هَذا معَنا
و تركنا بسَلام
أريدُ رحلة لدَقيقتين إلى تِشرين
ألومُ فنجَان القهوَة إرتشفتهُ منكِ مرّتان
و ألقِي كل اللوم عَلى البندُقيتان
مَا كان يجدُر للحُب أن يتسَلل إلينا نحنُ الإثنان
كانت كلُ أبوابه مُحكمة الإغلاق
و كنتُ عَنه بأمان
كنتُ بَعيدًا عن الحُب و كل هُراء الزمَان
كان الرّبيعُ مُزهرا فِي كل فصولِي
الصّيفية ؛ الخريفية ؛والشتائِية
كنتُ قبلكِ زير النسَاء و لمْ تتمَكن إمرَأة مِن ترويضِي

كنتُ نارا مشتعِلة و لمْ تتمكن أي فتاة مِن إطفاء حَريقي
و مرَرتِ أنت بي في فصْل خرَافِي ،
و أحرقتِي بي مَا تبَقى مِن الرّبيع ،
عليكِ يَا إمرَأة لعنة النِسيَان ،
أتناولكِ كل يوم بإنتظام ،
إلا أنِي لستُ بخير، أعانِي مِن الإدمَان
فالتدَعينِي أعيشُ بسَلام ؛
و إهجُرينِي و هَذا المَكان ،
فقد إنتظرتكِ إلى أن سابَقنا لخط النهايَة الزمَان
النهايَات هِي بداية فِي نقطة مَا
فِي كل نهاية تولد بدايَة
و كل بداية تموتُ بخط النهايَة
و نحنُ بدايتنا كانت لسَببٍ مَا
و حُبنا حدَث لسَببٍ مَا
إجتمعنا وَ إفترقنا لسبب ما
و نهايتنا كانت لسبب ما
كل شيئ يحدث لسبب ما .
تعلمتُ آن أحِبكِ و إنفجرتِي دَاخلِي بالألوَان
و كان النِسيَانُ أولى بالتعَلم بعد الخذلان

سَلامي عَلى ما تركتُ بسُوريا
و مَا وجدتْ

إهداء إلى صديقتي من عمق الشام ، سلامي إلى هويدة
إلى مغتربة نفتها الأيام خارج بلدها وجعلها الشوق والحنين تعود بعد مضي عشرين عام مِن الإحتراق ؛ لعقد قرَانها مع عصَام ، عادت مُحملة برسائل الشوق و حلقت تسابق الرّبيع للشام ، عادت بلهفة لترتدي الأبيض فسبقتها الحرب إلى أهلها ، صحبها ، وبيتها ، عادت لتجد أن القمَر تلون بسماء الشام باللون الأحمَر ، ، لم تغادر هذه المرة وبقيت بسوريا مختبئة تحت الأنقاض ، ترَكها عصام و التحق بالجيش و بعد مدة ليُغتال ،
ترجتها أمها للعودة إلى ألمانيا و لكنها رفضت وقررت أن تبقى بسوريا ؛ آخر بريد تلقيته منها عندمَا أخبرتها ان تعود إلى لألمانيا لعلها تنسَى ما حل بها من الوجَع ، شعرت أنِي أموت في كل كلمة قرأتها :
" أحببت عصام إذ كنت به أملك كل
شيئ ، إبتعدت كثيرا عن وطني ، وكان يطلبُ مني بعد الزوَاج الإ ستقرار معه بدمشق ، وعندما عدت فقدت عصام و كل شيئ ، وجعي يزدادُ كلمَا تذكرتُ انه مات ، لازلت اعود لرسائله القديمة أقرأها مرارًا وتكرارا و أقف عند كل جملة ذكر بها اسمي أناديه

و لا يرد ، لازلت احتفظ بصورته ، اخاطبها ،اعاتبه ،و أحيانًا انفجر ضحكا ، و لكما باغتني الشوقُ أزور ركام بيتنا ، حيث أراد عصفورين أن يستقرا ، لازالت الأنقاض دافئة ، لازلتُ أستطيع سماع ضحكاته تنبعث من تحت الركام ، لقد أبادني الحُزن ، و لمْ أعد أشعرُ بنفسى ، لقد تراكم بداخلي الحطام

و بدأ العفن يمتد بداخلِي ،لازال يُخيل إليّ من الوجَع أنه حي و سيعود ، لا أستطيع هظم فكرة رحيله ،لازلت أنتظرُه بفارغ الصَبر ،فقد خنته بالرحيل منذ عِشرين سنة ، و لقد إنتظرني و حان دوري لإنتظاره ،لن أعُود لألمانيا قبل أن أراه ، صديقتِي آخر ما تبقى مني يُحتضرُ و يموت بهدوء " ، إلى هويدة التي إنقطع عنها الخبر والسلام منذ قرابة شهرين ، هذه ألامك و هذه كلماتِي ألفها حولها ،

وأشاركك أوجاعك و أقتسم معك رغيف حزنك ، أشكو إلى ربي كل هذا ، سلامي إلى سوريا ؛ إلى كل ربوعها المغتصبة و المقصوفة إلى كل مشاتل الورود والزهور ، سلامي للأرواح المتفتتة تحت الأنقاض ؛ سلامي للرضع الصغار ، النِساء والكبار ، يموتون بصَمت فهم يعلمون أنه لا جدوى مِن الصُراخ ،

و من شدة الوجَع صاروا موتى و لمْ يبقى ما يباح ،

سلامي إلى كل سوري لازال يقاوم بوطنه ، وكل روح حلقت بالسَمَاء ، إهداء لكل الشعب السوري إلى كل التراب الدمشقي .

أعود لدِمشق بعد سِنين
أحملُ معِي حقائِب شوق و رسائِل طير حَزين
أعُود مِن غربَة الأنِين كمَطر مُمتَطيا ظهر الغيُوم
أعُود بلهفة إلى الشام بعد فرقة دَهر
و أجد أن مَا حَل به كعَصر الجُنون
اعودُ و أجدُ أن سَقف بيتِي غير موجُود
و أن بابَ بيتِي غير موجُود
و نسوَة يندَبن حُزنا عَلى موت طير الحسُون
إعترَاني الشكُ والظنون
أين كلُ مَا تركتُ مِن البَنون
لعلِي دَخلت بلدًا غير بَلدي الفتُون
و آخِرُ مَا تبقى
بعضُ بقايا جدَار بيتنا مَختون
و بعض مُحترَق زهر الزيزفون
كلُ الشجَر مُشتعلة لحَد الغصُون
أجدُ أن كل الأصدِقاء لم ينتظِروني كاذبُون
و كل الجيرَان ، و كل حَي ، مَقصُوفون
فيهَا حتّى الحَجر يتوسَل تأشيرة السَفر
مِن اليَأس و الوَجع مَسكون

و كل الشِلة إختفت و كأنها يوما مَا تكون
مَا عادُوا و ما سألوا عنِي و ما يسمَعُون
و بَعضهُم راسَلني بالبَريد و بَاله عنِي مَشغول
و دعَاني لحفل ميسُون
يسألُ متى لوطنِي أعُود عجُول
و من بقِي مِنهم ، كان بالجَوف مَدفون
تحْت الأنقاض و خرَج باكيا مِن الهَول كالمَجنون
فأجدُ أن الجَميع بالمَوت والخوف مُطوقون
تركتُ بحَديقة بيتِي عِباءة زهر الأقحُوان
أرجُوحة بحَبل الأرجُوان
و كان بَلدي بالحَياة مَسكون
تركتُ سَماءكِ يَا سُوريا بحرا أزرَق كالزيزفون
و الطير فيهَا يسبَحُ مثلَ اسماك السَلمون
و أشعَة الشمس تنامُ
عَلى وسائِد السُحب بسُكون
تركتُ القمر يُغازل سُوريا ليلا
و يُحاكِي حلب الحَنون
تركتُ فيهَا شعبًا سعِيدا
مَدارس ، مَسارح ، مَساجد
كنائس ، تركتُ فيهَا بسَاتين
مِن الزهُور وأريج الحُقول

والآن الكل ينزفُ مَطعون
عُدت عَلى سَحاب أسوَد يَعدُو كجَواد أشعَث
حزينًا يَبكي بالدِماء أرعَف
و جاء طول الطريق يَسدُ أذناه و بالحُزن مشحُون
سألته مَاذا حدَث لشعب بَلدي المغبُون
قال ألا تسمعُ ...
ألا تسمعُ إنهُم مُلتوُون مِن الألم مجزوعُون
الأطفالُ ،النسَاء ، الشيُوخ شِتاتا مذيُوعُون
الكبَار و الصِغار تحْت الأنقاض يَصرُخون ،
أشلائهُم مَذعُورة تتوسَد الأرض مجلعية
و القنابل عليهُم مِن السّماء بذيل الطير مشحُون
و ربَهُم مِن فوْق يدعُون
مِن الكر و الفر تعِبون
و هُم تحْت كل رُفات بَيت مِن الدَائِلة مُختبؤون
تبيدُ أرواحَهم خرًا مِن المَوت مَذعُورون
ألا أيُهَا الليل الطويل إنتهي و إطوي علينَا كتاب المَنيات
فالطير فِي وكناتِها الصُبح مُنتظرون السَاكنات
و غدا صُبح جمِيل بالأفق مُشرقات
و غدا تزهرُ سُوريا ورُودًا و ياسَمين راحِقات
وتنتهي كل حرب وترحل كل الناعِيات
و تسكتُ النادبَات

غدا تزهرُ ثغور باسِمات
و تجف كلُ جُفون دامِعات
و آخِرُ مَا تبَقى مِن حُطام البنَاء
سَينبت أخضرًا بما سَقيناه مِن الدمَاء